الدكتور كاظم حبيب

كوارث ومآسي أتباع الديانات والمذاهب الأخرى في العراق

تبرع الدكتور كاظم حبيب بما كتبه في هذا الكراس حول اتباع الديانات والمذاهب في العراق من ماسي ومشاكل الى المنظمتين المدرجتين ادناه

هيئة الدفاع عن اتباع الديانات والمذاهب في العراق

منظمة الدفاع عن حقوق الإنسان في العراق/المانيا (أمرك)

دور عبادة

أتباع الديانات والمذاهب العديدة في العراق

برلين – بغداد

2019

الفهرس

كوارث ومآسي أتباع الديانات والمذاهب الأخرى في العراق

الفهرس 4

كلمة لا بد منها 6

المدخل 8

مواقف الحكام وشيوخ الدين المسلمين من أتباع الديانات والمذاهب الأخرى في العراق 8

مفهوم الإبادة الجماعية 26

الفصل الأول: العراقيون اليهود 31

الفصل الثاني 39

الكوارث وحرب الإبادة ضد الآشوريين والكلدان والسريان بتركيا والعراق 39

الفصل الثالث 47

العراقيون الأرمن 47

الفصل الرابع 53

العراقيون الإيزيديون (دسنايا) 53

الفصل الخامس 56

العراقيون المندائيون 56

الفصل السادس 67

العراقيون الشبك 67

الفصل السابع 74

العراقيون الزرادشتيون (النورانيون) 74

الفصل الثامن 89

العراقيون البهائيون 89

الفصل التاسع 93

العراقيون اليارسانيون (الكاكائيون) 93

الفصل العاشر 97

الاستنتاجات والمعالجات.....97
أولاً: الاستنتاجات.....97
ثانياً: سبل معالجة التجاوزات على حقوق أتباع.....101
الديانات والمذاهب 101
المراجع والمصادر 105
كتب دينية ومواقع الكترونية وتقارير 108
مصادر أجنبية.....109

كلمة لا بد منها

لا أدافع عن الديانات والمذاهب كلها، لا أدافع عن هذا الدين أو ذاك، ولا عن هذا المذهب أو ذاك، كما لا أطرح هنا صواب أو خطأ ما ورد لدى هذه الديانات والمذاهب من معتقدات وطقوس وتقاليد، فهي من مهمات نقد الديانات والمذاهب والفكر الديني والمذهبي، وهذه الدراسة المكثفة لا تقع في هذا المضمار، بل أدافع هنا بلا هوادة عن حق الإنسان، أينما كان وفي أي زمان، وحريته التامة في الاعتقاد وفي تبني هذا الدين أو ذاك، أو هذا المذهب أو ذاك، أو هذه الفلسفة أو تلك، أو أن يكون الإنسان بلا دين أو مذهب. إنه حق ثابت من حقوق الإنسان الذي لا يجوز المساس به بأي حال، وهي مرتبطة بكرامته، التي هي الأخرى لا يجوز بأي حال المساس بها. لقد ناضلت البشرية عشرات القرون لتكريس هذا الحق والتمتع بهذه الحرية، فلا يجوز التفريط بهما أو السماح بالتجاوز عليهما في أي مكان وزمان!

يطيب لي أن أقدم شكري إلى صديقين عزيزين هما الدكتور الطبيب غالب عبد العزيز العاني، مؤسس منظمة الدفاع عن حقوق الإنسان في العراق/المانيا (أمرك)، والمهندس الاستشاري الأستاذ نهاد القاضي، أمين عام هيئة الدفاع عن أتباع الديانات والمذاهب في العراق، على دعوتي للكتابة بهذا الموضوع لعقد ندوة فكرية وحقوقية حول هذا الموضوع المهم، معاناة أتباع الديانات والمذاهب الأخرى في العراق على امتداد تاريخ العراق منذ أن أطلق عليه بـ"الفتح الإسلامي" للعراق حتى الآن، رغم إن الندوة لم تتحقق. وشكري يشمل جميع الأخوة والأصدقاء الذين أرسلت لهم المواد للاستئناس بمعلوماتهم حول المادة التي كتبتها عن أتباع هذه الديانة أو تلك ووصلتني منهم ملاحظات مفيدة.

ويمتد شكري الجزيل وامتناني إلى رفيقي وصديقي العزيز الكاتب والإعلامي يحيى علوان الذي قام بحرص وبذل جهدا في تدقيق المادة عربياً.

كاظم حبيب

برلين 2019

المدخل

مواقف الحكام وشيوخ الدين المسلمين من أتباع الديانات والمذاهب الأخرى في العراق

يعتبر العراق واحداً من البلدان الكثيرة في منطقة الشرق الأوسط ذات القوميات والأديان والمذاهب المتعددة. وهذه الظاهرة الإنسانية ليست جديدة في العراق ودول منطقة الشرق الأوسط، بل هي قديمة قدم بلاد ما بين النهرين (ميزوبوتاميا) وقدم منطقة وحضارات دول الشرق الأوسط. وهي ظاهرة صحية وعامل غنى ثقافي واجتماعي وإبداعي، إن أُحسن استخدامه والاستفادة الواعية والمسؤولة من مكونات شعوب هذه المنطقة القومية والدينية والمذهبية، أياً كان حجم أو عدد أتباع هذه المكونات. ومن يتمعن في هذه المكونات، سيجد إن بعضها يعيش في العراق منذ آلاف، وبعضها الآخر منذ مئات السنين، وإنها جميعاً دون استثناء قد تركت بصماتها الثقافية والفنية والاجتماعية على حضارة العراق قديماً وحديثاً، وعلى البنية الثقافية والاجتماعية والكثير من القيم والمعايير والتقاليد والعادات لسكان العراق. واستمرار وجود هذه المكونات يجسد في الواقع ثلاث مسائل جوهرية، رغم ما مرَّت به هذه المكونات القومية والدينية والمذهبية من صعوبات جمة ونكبات ومآسٍ وحروب كثيرة ونظم سياسية استبدادية وسياسات قمعية، نشير هنا إليها:

1. **تميز المجتمع العراقي باعترافه بتنوع مكوناته وقبول بعضه للبعض الآخر، بل حتى أحياناً غير قليلة استعداد بعضه في الدفاع عن البعض الآخر، ولاسيما في الملمات.**
2. **التمسك الشديد لأتباع القوميات والأديان والمذاهب والاتجاهات الفلسفية بما كانوا ينتسبون إليه، ويؤمنون به، رغم كل المصاعب والمحن.**
3. **كما إن سياسات وإجراءات الاضطهاد والإمعان في التمييز والتهميش من جانب النظم والحكومات والكهنة وشيوخ الدين كانت، في غالب الأحيان، تحصد العكس من جانب أفراد المجتمع، إذ يزداد التشبث بدينهم أو قوميتهم وعلاقاتهم التضامنية، وهو أمر مفهوم. حتى من يتنازل عن معتقده يكون الأمر شكلياً وتحت الإرهاب الفكري والنفسي والجسدي.**

4. رغم ذلك، فهذا الواقع النسبي لم يساعد المجتمع العراقي على توفير الحماية والاحتفاظ بجزء مهم من مجتمعه العراقي، وواحد من قواه الدينية التاريخية التي يعود عمرها في العراق إلى أكثر من 2700 سنة، والمقصود هنا أتباع الديانة اليهودية، الذين تعرضوا للتهجير القسري وبشتى السبل في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات من القرن العشرين والذي سنبحث بشأنهم لاحقاً. واليوم يواجه العراق خطر خسارة أجزاء أخرى من المجتمع العراقي، من قوميات وديانات أخرى، وهو ما يجعلنا نؤكد مرات ومرات، دون أن نصاب بالكلل أو الملل، أهمية دراسة هذه المسألة ومواجهتها والعمل على إزالة العوامل المسببة لها، كي لا تحل كوارث أخرى بالشعب العراقي.

واليوم يواجه العراق مخاطر جادة وشاخصة تشير إلى احتمال خسارة مكونات قومية ودينية أخرى، وهو ما يضع المجتمع العراقي أمام مسؤولية مواجهة المشكلة الكبيرة والتصدي لها والبحث فيها دون كلل أو ملل، باتجاه العمل على إزالة جميع العوامل المسببة لها.

لقد مرَّت في العراق الكثير من الأقوام والجماعات البشرية، بعضها استوطن البلاد، وبعضها الآخر حلَّ ضيفاً على سكانها ثم غادرها، ولكن، كلهم دون استثناء، تركوا بصماتهم على الإرث الحضاري، الثقافي والفني والاجتماعي، ومنه الديني والفلسفي، لشعوبهم على سكان هذه الأرض، فتلاقحت فيما بينها وشكلت النسيج الثقافي والاجتماعي والفني العراقي الراهن، مع احتفاظ العديد من القوميات وأتباع الأديان والمذاهب بخصائص وسمات ثقافية واجتماعية وطقوس دينية ومناسبات يتميزون بها عن غيرهم، إضافة إلى الميزات والسمات والمناسبات المشتركة. ولولا هذا التنوع الثقافي والاجتماعي الإنساني لما حقق العراق حضارته القديمة، التي يعتز بها العالم كله ويبجلها، ولما ساهم في بناء هذا التراث الأصيل والجميل الذي تعتز به الغالبية العظمى من بنات وأبناء العراق الذين يعترفون ويحترمون الإنسان، كقيمة أساسية بحد ذاتها، وبتنوعه القومي والديني والمذهبي، وهو السبيل الوحيد لتأمين التقدم والتطور والازدهار لبلدنا.

ولكن هذا العراق ذاته شهد أيضاً، وعلى امتداد تاريخه الطويل، نزوعاً لدى الحكام المسلمين، سواء أكانوا من العرب أم من غير العرب، والغالبية العظمى من رجال الدين، سواء أكانوا من هذا المذهب أو ذاك، صوب رفض التنوع وعدم احترام الآخر، واعتباره من درجة أدنى، وتمييزه وتهميشه أو حتى إقصائه، مما عرض البلاد إلى الكثير من المحن والمصائب والكوارث، وأدى بالكثير من البشر إلى الموت أو السجن والتعذيب أو الهجرة القسرية، التي كان في المقدور تجنبها، لولا ذلك الاصرار على رفض الآخر ومعاداته.

تؤكد الكثير من الكتب الصادرة في فترات مختلفة من تاريخ العراق "الإسلامي" معاناة أتباع الديانات والمذاهب الأخرى من غير المسلمين من سياسات وممارسات التمييز وعدم المساواة الفعلية والظالمة في التعامل اليومي الذي يُحوّل حياة الناس إلى جحيم لا يطاق. فعلى سبيل المثال لا الحصر، يمكن إيراد حادثتين تكشفان عن جوهر الموقف الناشئ عن عقلية التمييز لدى غالبية، إن لم نقل جميع، الحكام المسلمين وشيوخ الدين المسلمين، إزاء أتباع الديانات والمذاهب الأخرى.

الحالة الأولى: أورد الدكتور عبد العزيز الدوري (1919–2010م) في كتابه "تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري" مقتطفاً منقولاً عن القفطي في كتابه "تاريخ الحكماء "ليدلل على شمول عناية الوزير علي بن عيسى (245–334هـ) بالقرى والأرياف وتأمين الرعاية الصحية لها، إذ كتب الأخير في عام 301 هجرية إلى الطبيب سنان بن ثابت (توفى 975م) ما يلي:

"فكرت فيمن بالسواد من أهله، وأنه لا يخلو من أن يكون فيه مرضى لا يشرف متطبب عليهم لخلو السواد من الأطباء، فتقدم... بإنفاذ متطببين وخزانة من الأدوية والأشربة يطوفون في السواد، ويقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة إلى مقامهم، ويعالجون من فيه ثم ينتقلون إلى غيره. "ولما وصل الأطباء إلى سورا ونهر الملك وجدوا أن أكثر السكان يهود. فاستفسر سنان من الوزير عن رأيه في معاملتهم وأوضح "أن الرسم في بيمارستان الحضرة قد جرى للملّي والذمّي. "فكتب علي بن عيسى: "ليس بيننا خلاف في أن معالجة أهل الذمة والبهائم صواب، ولكن الذي يجب تقديمه والعمل به، معالجة الناس قبل البهائم، والمسلمين قبل أهل الذمة، فإذا فضل عن المسلمين ما لا يحتاجون إليه صرف في الطبقة التي بعدهم. فاعمل... على ذلك"[1]. ورغم ما يملكه الدكتور عبد العزيز الدوري من حس مرهف للكلمة، فأنه لم ينتبه، في أحسن الأحوال، أو على الأقل، لم يشر بأي شكل إلى الموقف الفكري الخاطئ والتمييز المجحف والصارخ الذي تجلى في خطاب علي بن عيسى، والذي كان يمارس من قبل الحكام وولاة وأمراء الدولة العباسية حينذاك، وكأن التمييز بين الناس، بين المسلمين وغير المسلمين، مسألة طبيعية واعتيادية حتى في مجال العلاج الطبي. ويؤكد هذا النص الموقف الديني المتزمت للوزير على بن عيسى إزاء أهل الذمة، إذ أنه وضعهم في طبقة تقع بين المسلمين والبهائم،

الدوري، عبد العزيز، دكتور، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995، ص 287/286.

بدلا من أن يكتب إليه مشيرا بأن المعالجة تتم لمن هو أكثر حاجة إليها من البشر القاطنين في السواد. فمن يقرأ النص يلاحظ بوضوح ما يلي:

1- إن علي بن عيسى قد وضع أهل الذمة مع البهائم بقوله: "ليس بيننا خلاف في أن معالجة أهل الذمة والبهائم صواب"، في حين لم يسأل الطبيب سنان عن البهائم وأشار في رسالته إلى أن البيمارستان يعالج الملي والذمي على حد سواء.

2- وميّز علي بن عيسى بين المسلمين وأهل الذمة، وكانوا يهودا، بتفضيل معالجة المسلمين أولاً، ثم معالجة الذميين ثانيا، وأخيراً معالجة البهائم، في حين كان تصرف البيمارستان سليما، حين كان يعالج الجميع دون تمييز وفقاً لحالة المرضى ومدى حاجتهم للإسعاف والمعالجة العاجلة، وهو فارق مهم وكبير بين تفكير السياسي المتحيز والمتعصب والخاطئ وغير العقلاني، وبين تفكير الطبيب العالم الذي لا يميز بين المرضى. واعتبر علي بن عيسى في رسالته أن المسلمين هم من الطبقة الأولى والأعلى، ثم تليهم طبقة الذميين، فالطبقة التي تليهم هي طبقة البهائم!

3- وكان هذا التمييز موجوداً وملموساً لدى الغالبية العظمى من المسؤولين والكثير من علماء الدين والقضاة والقادة العسكريين في تلك العهود، ويتضمن في الوقت نفسه محاولة للضغط على أهل الذمة لتغيير دينهم والتحول إلى الدين الإسلامي.

لم يكن العهد العباسي كله بهذه الصورة الموحشة بالنسبة للمسيحيين، إذ كانت الفترة التي عاشها المسيحيون في خلافتي الأمين والمأمون مثلاً، حتى قبل ذاك، باعتبارها الفترة الذهبية للمسيحيين، كما أطلق عليها الدكتور موفق فتوحي[2].

4- وكان من المفترض ألا يوجه الطبيب هذا السؤال إلى علي بن عيسى، بل أن يتصرف كطبيب يدرك واجبه الإنساني ويقدم الدواء لمن هم أحوج إليه من غيرهم.

الحالة الثانية: أمر الخليفة العباسي أبو الفضل جعفر المتوكل على الله (822 – 861م) بتنفيذ إجراءات تميز بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى، وكانت تستهدف جميع من كان يطلق عليهم بالذُميّين مباشرة. وبذلك يكون قد أعاد هذا الخليفة تطبيق الشروط العمرية (شروط الخليفة عمر بن الخطاب) إزاء الذميين وأضاف إليها ما يزيد من محنتهم والإساءة لهم:

" تغيير أزياء الذميين بلبس الغيار وشد الزنار، ** حظر دق النواقيس أو الجهر بالتراتيل، ** عدم تجاوز مباني المسلمين في العلو، ** التستر في الجنائز وعدم الجهر بالندب والنياحة، ** حظر ركوب الخيل. ويباح للذميين ركوب الحمير والبغال، ** يلزم أن يكون الركاب من خشب، وأن يتخذ**

---

[2] أنظر: موفق فتوحي، دكتور. مسيحيو العراق عبر التاريخ، الجزء الأول والثاني. نشر في موقع منتديات كرملش لك. بتاريخ 2009/2/9.

البرذع بدلا من السرج. وقد اضاف المتوكل، على أهل الذمة، شرطا جديداً على الشروط العمرية هو:
**** حظر التسمي بأسماء المسلمين أو التكني بكناهم او التلقّب بألقابهم.**

كما أدت إجراءات المتوكّل الى تهديم خمس كنائس بالبصرة، وسويت بعض المقابر المسيحية بالأرض لكي لا تعلو قبور النصارى على قبور المسلمين."! وأوغل المتوكل في مظالمه حين فرض ضريبة العشر على منازل اهل الذمة وبنى بعض المساجد على أنقاض الكنائس." [3]

إلى القارئات والقراء الكرام نص العهدة العمرية التي تنسب كتابتها إلى عمر بن الخطاب بشأن الموقف من أهل أيليا:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبدالله أمير المؤمنين عمر، أهل إيليا من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم ولصلبانهم ومقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنها لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حدّها ولا من صلبانهم، ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن على أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلي بيعتهم وصليبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعتهم وصليبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان فيها من أهل الأرض، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أرضه، فإنه لا يؤخذ منه شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته، وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبدالرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان. كتب وحضر سنة خمس عشرة.« [4]

ومنه يتبين أن عمر بن الخطاب قد التزم بالقاعدة الثلاثية إما "الإسلام أو الجزية أو الحرب". وبسبب هيمنة المسلمين على المنطقة، فكان على أهل إيليا أن يدفعوا الجزية مرغمين طبعاً، وأن يلتزموا بعض المسائل الأخرى التي وردت في عهود محمد مع اليهود والنصارى. وهي عهدة لا تخرج عن الخط العام

---

[3] راجع: نافع البرواري، أحوال المسيحيين في عهد الخلفاء المسلمين، موقع عنكاوة، 2016/12/17.

[4] أنظر: إبراهيم عباس، حقيقة العهدة العمرية.. والفرق بينها وبين {الشروط العمرية« كشف المغيب من خطوطها وموقف المؤرخين منها، موقع المدينة، 2012/2/10.

الذي مارسه المسلمون أينما حلوا وهيمنوا. ولكن انتشرت في فترة لاحقة ما أطلق عليه الشروط العمرية. فماذا تتضمن الشروط العمرية ومن طرحها أول مرة؟ وما الموقف منها؟

تشير المصادر الإسلامية بهذا الصدد إلى ما يلي: إن أول من أورد الشروط العمرية في كتاباته هو الإمام الجوزي في كتابه «أحكام أهل الذمة»، وابن كثير في تفسيره، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى،[5] على النحو التالي كما وردت عند ابن القيم الجوزي، هذه الشروط العمرية المنسوبة إلى عمر بن الخطاب، ثم أوردها أبن كثير وغيره من الكتاب المسلمين:

"اشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عُمَر بْن الْخَطَّاب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ تِلْكَ الشُّرُوط الْمَعْرُوفَة فِي إِذْلَالهمْ وَتَصْغِيرهمْ وَتَحْقِيرهمْ وَذَلِكَ مِمَّا رَوَاهُ الْأَئِمَّة الْحُفَّاظ مِنْ رِوَايَة عَبْد الرَّحْمَن بْن غَنْم الْأَشْعَرِيّ قَالَ: كَتَبْت لِعُمَر بْن الْخَطَّاب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ حِين صَالَحَ نَصَارَى مِنْ أَهْل الشَّام.

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيم

هَذَا كِتَاب لِعَبْدِ اللَّه عُمَر أَمِير الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَصَارَى مَدِينَة كَذَا وَكَذَا إِنَّكُمْ لَمَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْنَا سَأَلْنَاكُمْ الْأَمَان لِأَنْفُسِنَا وَذَرَارِيّنَا وَأَمْوَالنَا وَأَهْل مِلَّتنَا وَشَرَطْنَا لَكُمْ عَلَى أَنْفُسنَا أَنْ لَا نُحْدِث فِي مَدِينَتنَا وَلَا فِيمَا حَوْلهَا دَيْرًا وَلَا كَنِيسَة وَلَا قلاية وَلَا صَوْمَعَة رَاهِب وَلَا نُجَدِّد مَا خَرِبَ مِنْهَا وَلَا نُحْيِي مِنْهَا مَا كَانَ خُطَطًا لِلْمُسْلِمِينَ وَأَنْ لَا نَمْنَع كَنَائِسنَا أَنْ يَنْزِلهَا أَحَد مِنْ الْمُسْلِمِينَ فِي لَيْل وَلَا نَهَار وَأَنْ نُوَسِّع أَبْوَابهَا لِلْمَارَّةِ وَابْن السَّبِيل وَأَنْ نُنْزِل مِنْ رَأَيْنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَة أَيَّام نُطْعِمهُمْ وَلَا نَأْوِي فِي كَنَائِسنَا وَلَا مَنَازِلنَا جَاسُوسًا وَلَا نَكْتُم غِشًّا لِلْمُسْلِمِينَ وَلَا نُعَلِّم أَوْلَادنَا القرآن الكريم وَلَا نُظْهِر شِرْكًا وَلَا نَدْعُو إِلَيْهِ أَحَدًا وَلَا نَمْنَع أَحَدًا مِنْ ذَوِي قَرَابَتنَا الدُّخُول فِي الْإِسْلَام إِنْ أَرَادُوهُ وَأَنْ نُوَقِّر الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ نَقُوم لَهُمْ مِنْ مَجَالِسنَا إِنْ أَرَادُوا الْجُلُوس وَلَا نَتَشَبَّه بِهِمْ فِي شَيْء مِنْ مُلَابِسهمْ فِي قَلَنْسُوَة وَلَا عِمَامَة وَلَا نَعْلَيْنِ وَلَا فَرْق شَعْر وَلَا نَتَكَلَّم بِكَلَامِهِمْ وَلَا نَكْتَنِي بِكُنَاهُمْ وَلَا نَرْكَب السُّرُوج وَلَا نَتَقَلَّد السُّيُوف وَلَا نَتَّخِذ شَيْئًا مِنْ السِّلَاح وَلَا نَحْمِلهُ مَعَنَا وَلَا نَنْقُش خَوَاتِيمنَا بِالْعَرَبِيَّةِ وَلَا نَبِيع الْخُمُور وَأَنْ نَجُزّ مَقَادِيم رُءُوسنَا وَأَنْ نَلْزَم زِيّنَا حَيْثُمَا كُنَّا وَأَنْ نَشُدّ الزَّنَانِير عَلَى أَوْسَاطنَا وَأَنْ لَا نُظْهِر الصَّلِيب عَلَى كَنَائِسنَا وَأَنْ لَا نُظْهِر صُلُبنَا وَلَا كُتُبنَا فِي شَيْء مِنْ طُرُق الْمُسْلِمِينَ وَلَا أَسْوَاقهمْ وَلَا نَضْرِب نَوَاقِيسنَا فِي كَنَائِسنَا إِلَّا ضَرْبًا خَفِيفًا وَأَنْ لَا نَرْفَع أَصْوَاتنَا بِالْقِرَاءَةِ فِي كَنَائِسنَا فِي شَيْء فِي حَضْرَة الْمُسْلِمِينَ وَلَا نَخْرُج شَعَّانِينَ وَلَا بُعُوثًا وَلَا نَرْفَع أَصْوَاتنَا مَعَ مَوْتَانَا وَلَا نُظْهِر النِّيرَان مَعَهُمْ فِي شَيْء مِنْ طُرُق الْمُسْلِمِينَ وَلَا أَسْوَاقهمْ وَلَا نُجَاوِرهُمْ بِمَوْتَانَا وَلَا نَتَّخِذ مِنْ الرَّقِيق مَا جَرَى عَلَيْهِ سِهَام الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ نُرْشِد الْمُسْلِمِينَ وَلَا نَطْلُع عَلَيْهِمْ فِي مَنَازِلهمْ .

---

[5] أنظر: الدكتور رمضان اسحق الزيان، روايات العهدة العمرية . دراسة توثيقية. شبكة الدفاع عن السُنة. أنظر أيضاً: المصدر السابق.

قَالَ فَلَمَّا أَتَيْت عُمَر بِالْكِتَابِ زَادَ فِيهِ وَلَا نَضْرِب أَحَدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ شَرَطْنَا لَكُمْ ذَلِكَ عَلَى أَنْفُسنَا وَأَهْل مِلَّتنَا وَقَبِلْنَا عَلَيْهِ الْأَمَان فَإِنْ نَحْنُ خَالَفْنَا فِي شَيْء مِمَّا شَرَطْنَاهُ لَكُمْ وَوَظَّفْنَا عَلَى أَنْفُسنَا فَلَا ذِمَّة لَنَا وَقَدْ حَلَّ لَكُمْ مِنَّا مَا يَحِلّ مِنْ أَهْل الْمُعَانَدَة وَالشِّقَاق."[6]

لقد كانت هذه الشروط شديدة الوطأة على المسيحيين، ودفعت بالعديد منهم إلى اعتناق الإسلام. إذ تتجلى فيها محاولات فرض عملية إذلال لجزء من البشر، ممن كان يؤمن بديانات أخرى غير الإسلام، وهم من أهل كتاب، وبالتالي فهم على وفق رؤية الإسلام، أنهم من خلق الله، فهل يجوز إذلال خلق الله وبهذه الصورة المزرية. إن الكثير من الدلائل تشير إلى ضعف شديد لهذه الشروط التي كان هدفها الإساءة والحط من كرامة الإنسان اليهودي والمسيحي، والتي استخدمت فيما بعد في الدولة العباسية على نطاق واسع وصدرت فيها قرارات عن بعض خلفاء العباسيين أيضاً.

لقد تعرض العراق إلى حملات المغول الهمجية بقيادة هولاكو في العام 1258م، وإلى حملات تيمور لنگ العسكرية في العام 1401م، وكذلك إلى حملات عسكرية أخرى من جانب الإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية الفارسية في صراعهما ونزاعهما لاحتلال العراق في القرنين السادس عشر والسابع عشر، والتي اتخذت طابعاً طائفياً في الشكل واستعمارياً في المحتوى لتحقيق مصالح سياسية واقتصادية في الجوهر، ثم معارك الحرب العالمية الأولى على أرض العراق ايضاً بين القوات البريطانية وقوات الإمبراطورية العثمانية (الرجل المريض) وتخلص العراق من الهيمنة العثمانية البالية ، وسقوطه تحت الاحتلال والاستعمار البريطاني المباشر بين 1917–1932، وأخيراً وقوع العراق تحت الاحتلال الأمريكي–البريطاني للعراق في أعقاب حرب الخليج الثالثة ضد النظام الدكتاتوري البعثي في العام 2003، وما أقيم على أنقاض نظام البعث الشوفيني والفاشي من نظام سياسي طائفي محاصصي مستبد ومدمر. وفي جميع هذه الفترات، ولاسيما من جانب قوى الاحتلال، مورست سياسة "فرق تسد" لدق أسفين الخلاف ورفض الآخر من جانب حكام القومية الأكبر والدين الأوسع انتشاراً، أي من جانب الحكام العرب والمسلمين، لتأمين إطالة عمر الهيمنة والاستغلال. وقد دام بعضها قروناً عدة، كما في حالة الاستعمار العثماني للعراق باسم الإسلام، وبعضها الآخر عدة عقود، كما في الاستعمار الإيراني للعراق في القرنين السادس عشر والسابع عشر، أو الاستعمار البريطاني، أو عدة سنوات كما في احتلال داعش لبعض مناطق العراق! ولعب التدخل الخارجي، حتى بدون احتلال مباشر، دوره السلبي الموجع في شق وحدة الصف الوطني وتمزيق النسيج الاجتماعي الوطني العراقي، وفي إشاعة

---

[6] نص العهدة العمرية من كتاب لأبن القيم الجوزية "أحكام أهل الذمة".

التمييز بين القوميات وأتباع الأديان والمذاهب، ولاسيما من قبل دول الجوار العراقي، والتشكيك بقومياتهم أو دياناتهم أو مذاهبهم أو نشر الأساطير والخرافات والإشاعات المسيئة بشأن بعضهم.

لقد برهنت تجارب شعوب العالم على أهمية وضرورة الاقتناع بأن الاعتراف والاحترام المتبادل بالتنوع القومي والديني والمذهبي في بلد متنوع القوميات والأديان والمذاهب يعتبر الطريق الوحيد لتحقيق الأمن والاستقرار والسلام أولاً، وهي الأجواء الضرورية التي تسمح في تحقيق النمو والتطور والتقدم والازدهار لشعب العراق بكل قومياته واتباع دياناته ومذاهبه ثانياً.

هناك تجارب غنية في العالم يمكن ان يستفيد منها العراق، فعلى سبيل المثال لا الحصر، أدرك أول رئيس للولايات المتحدة جورج واشنطن (1732–1799م) أهمية احتضان كل المواطنين دون استثناء والاستفادة منهم جميعاً في بناء الولايات المتحدة الأمريكية. فحين "أراد بناء بيته، كتب رسالةً طالباً فيها بنّائين ونجارين حاذقين، جاء فيها: «إذا كانوا عمالاً جيدين، قد يكونوا مِن آسيا أو أفريقيا أو أوروبا، أو يكونوا محمديين (مسلمين) أو يهوداً، أو مسيحيين مِن أي طائفة، أو ملحدين". (رشيد الخيون، متى يغدو التنوع الإنساني قوة؟، جريدة المدى، 2018/03/14). وكان موقف السلطان سليمان القانوني مماثلاً لموقف جورج واشنطن والرئيس جيفرسون، حين أكد، كما يشير إلى ذلك الدكتور رشيد الخيون، رافضاً مقترحاً طرحه عليه رجال دين " يُذكر أن رجال دين اقترحوا على سليمان القانوني (ت 1566) بفرض الإسلام على إمبراطوريته كافة، فكان جوابه: «كما أن هذا التنوع الظاهر في الأعشاب والأزهار لا يُضير في شيء، بل يُجدد النظر والشم على نحو رائع، كذلك تنوع الديانات في إمبراطوريتي لا يُشكِّل عبئاً عليَّ، بل عوناً لي. بالأحرى شرطَ أن يعيش رعاياي بسلام ويطيعون أوامري، فالأفضل لي أن أدعهم يعيشون على طريقتهم، ويتَّبعون الديانة التي يريدون (..) بدلا من أن أثير الفتن، وأرى دولتي مُقفِرة شأن حديقة اقتلعنا منها جميع الأزهار، ولم نُبقِ فيها إلا على لون واحد.« (المصدر السابق نفسه). إلا إن مثل هؤلاء الحكام، في تاريخ العراق عموماً والفترة العثمانية خصوصاً، هم قلة نادرة. فظاهرة التعدد والتنوع القومي والديني والمذهبي الزاهر لم تكن باستمرار محط ارتياح الحكام، من ملوك وخلفاء وولاة وشيوخ دين، وأخيراً رؤساء جمهورية ومؤسسات دينية. وتجلى ذلك ولا يزال في التشريعات والأنظمة أو الدعاية والإعلام والتصريحات والممارسة اليومية، التي كان الحكام والمسؤولون وما زالوا يقررونها ويفرضون تنفيذها بصيغ شتى إزاء أتباع القوميات والأديان والمذاهب الأخرى. وكثيراً ما كان الحكام والمسؤولون ولا زالوا يُنشّطون مجموعات من البشر من القومية العربية أو من الأكثرية المسلمة، لتمارس المواقف المناهضة لأتباع القوميات

والأديان والمذاهب الأخرى. وإذا كان تاريخ العراق حافلاً بلوحات إنسانية جميلة من التعايش السلمي والتضامني والنضال المشترك بين أتباع القوميات والأديان والمذاهب على الصعيد الشعبي، فإن هذا التاريخ كان، وفي الواقع ما يزال، مليئاً بلوحات أخرى ظلامية وكارثية أيضاً، تعبر عن وجود إصرار على نشر الكراهية والأحقاد القومية والدينية والمذهبية على مستويين: الدولة والمجتمع، من خلال التشريعات والتعليم والتثقيف والإعلام، ويسعون إلى غلغلة ذلك إلى أوساط الشعب. وبالتالي لم يخل العراق على امتداد تاريخه الطويل من المشهدين، المشهد الإنساني الشعبي، والمشهد اللاإنساني، انطلاقاً من النظرية العنصرية والتمييز الديني والمذهبي القائمة كلها على رفض الاعتراف بالآخر والأحكام المسبقة، النمطية، على قاعدتي "أنا" والـ "آخر". والسؤال المهم هو: أين يكمن الأساس في نشوء مثل هذه الظاهرة على صعيد العراق؟

من يدرس الكتب الدينية والفكر الديني عموماً سيجد أمامه، إلى جانب الأفكار الإصلاحية لمعالجة المشكلات التي جابهت المجتمعات حين ظهرت فيها تلك الأديان، وآخرها الدين الإسلامي قبل 1410 سنة (608 – 2018)، ظهرت في الواقع أربع أفكار أساسية تشكل جوهر المشكلات السابقة والراهنة:

الأولى تقول: أنتم "شعب الله المختار"، كما يعبر عنها اليهود في التوراة، أو "كنتم خير أمة أخرجت للناس" كما في قرآن المسلمين، وكلاهما يعبر في موقف يميز بين ألـ "أنا" والـ "آخر". وهما يتبادلان الموقع في الرؤية النمطية من جانب ألـ "أنا" نحو الـ "آخر".

الثانية تقول: ديننا هو الأفضل بين الأديان الأخرى. وهذه المقارنة تثير بحد ذاتها حالة من التمييز والمفاضلة والمنافسة والاتهامات المتبادلة.

والثالثة تطالب أتباع هذا الدين أو ذاك بنشر دينهم على أوسع نطاق ممكن وكسب المزيد من التابعين، وهم بذلك يكسبون الثواب لدى الخالق.

والرابعة تؤكد بأن من يؤمن بهذا الدين له الجنة، ولغيره من أتباع الأديان الأخرى النار وبئس المصير، وبمعنى أخر، إن أتباع الأديان الأخرى، سواء أكانوا أهل كتاب أم لا، هم باختصار كفرة ومشركون يستحقون نار جهنم وبئس المصير.

هذه الرؤية الذاتية لدى أتباع الأديان الكتابية قد دفعت بجميع الأديان التبشيرية على التحريض الجلي والدعوة إلى نشر الفكر الديني لهذا الدين أو ذاك، وكسب أتباع الأديان الأخرى لهذا الدين أو ذاك، بأمل الحصول على ثواب في الدنيا ودخول الجنة في الآخرة، والتي أثارت وتثير بدورها

المشكلات والصراعات والنزاعات الدموية بين اتباع الأديان والمذاهب، في حين أن ديانات أخرى موجودة في العراق أيضاً تعتبر مغلقة غير تبشيرية لا تريد كسب أخرين من ديانات أخرى لدينها، مع إنها تعتبر دينها هو الأفضل أيضا، ولكنها مكتفية بأتباعها أو من نطفتها. وممارسة الكسب لا يتم بين اتباع الأديان التبشيرية فحسب، بل وكذلك بين أتباع الدين الواحد حين تتعدد المذاهب فيه، وأغلب الأديان الكتابية التبشيرية ظهرت فيها مذاهب عديدة ومتصارعة ومتنازعة بالدم ومحاولة استئصال الآخر. وتاريخ اليهودية والمسيحية والإسلام في القرون المنصرمة مليء بالصراعات المذهبية. ومع إن هذا الصراع الطائفي قد تقلص لدى أتباع الديانتين اليهودية والمسيحية عموماً بسبب التطور الاقتصادي، لاسيما الصناعي، وحركة التنوير الديني والاجتماعي وفصل الدين عن الدولة والسياسة، فقد لاحظنا وجودها في ايرلندا الشمالية مثلاً، في حين إن الإسلام يواجه تفاقماً في الصراع بين حكام وشيوخ المذهبين السني والشيعي، ولاسيما بين المتطرفين السنة والشيعية (الحنبلية لدى السنة والاتجاه الصفوي وجماعة ولاية الفقيه لدى الشيعة).

وإذا أخذنا دين الأكثرية في العراق، وهو الإسلام، حيث ولد عليه أكثر من 90% من السكان، سنواجه بإشكاليات ناتجة عن موقف مزدوج: الجانب الأول منه الاعتراف بالأديان الكتابية من جهة، واعتبار الدين الإسلامي هو آخر الأديان السماوية من جهة أخرى. وهذا يعني دون مواربة إنه ينسخ الأديان السماوية أو الكتابية السابقة، وعلى أتباعها التحول صوب الدين الإسلامي. أما الموقف من الأديان غير الكتابية فتعتبر كلها بالنسبة للإسلام ديانات موجودة، ولكن غير معترف بها باعتبارها ديانات مشركة، وبالتالي فهي كافرة، وإن اتباعها جميعاً مشركون وكفرة ومكانهم جهنم وبئس المصير!!!

ويمكن أن نجد كل ذلك في آيات قرآنية، رغم ما جاء في القرآن الكريم قوله "يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي دين" وهذه الصيغة فيها جانبين مهمين: إن هناك أتباع ديانات يعتبرهم القرآن الكريم كفرة، ولهم دين، وأن من حقهم ذلك، وأن المسلمين لهم دينهم. ولكن في مواقع أخرى يكون الموقف غير ذلك وبالضد منه تماماً.

في الأديان الأخرى توجد صياغات تقود إلى رفض الآخر. ولكن مع حصول التنوير الديني والاجتماعي تغير الموقف العملي إلى حدود غير قليلة، ومثل هذه الأديان أو اتباعها لا يسعون إلى تغيير دين الآخر بل يعترفون بوجوده أو يتركون له حرية الوجود وممارسة الطقوس،

ولاسيما في أوروبا وعموم الدول الغربية المتقدمة، أو حين لا تكون ذات قدرة في التأثير في المجتمع. ومثل هذا التنوير لم يحصل لدى الغالبية العظمى من اتباع الدين الإسلامي، وفي جميع الدول ذات الأكثرية المسلمة.

هناك آيات قرآنية ذات مضمون إيجابي لصالح التعايش والحوار السلمي بين اتباع الأديان الكتابية، منها مثلاً:

 لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ومَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ.[7]

ثم جاء في الآية 46 من سورة العنكبوت ليؤكد أهمية الجدل وليس العنف في العلاقة مع أهل الكتاب إذ جاء ما يلي: وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.[8]

أما الآيات 123 و124 و125 من سورة النساء فتساوي بين الجميع في الإيمان وفي طبيعته عمله الصالح أو الطالح حيث ورد ما يلي بشأن أهل الكتاب:

 لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّه وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً.[9]

وفي سورة المائدة ورد نص يشير إلى العلاقة الطيبة التي يفترض أن تكون بين أهل الكتاب حيث ورد في الآية الخامسة ما يلي:

---

[7] القرآن الكريم/ سورة آل عمران. دار الجيل–بيروت، سورة مدنية، ص 64.

[8] المصدر السابق نفسه، سورة العنكبوت، مكية، الآية 46.

[9] المصدر السابق نفس، سورة النساء. مدنية.

" الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ".[10]

ورغم موقفي المخالف لقاعدة الذمية في الإسلام، أورد هنا هذا الموقف الذي ينسب إلى النبي محمد حول العلاقة الإيجابية مع الذميين:

"من آذى ذميا فأنا خصمه ومن كنت خصمه، خصمته يوم القيامة". "من ظلم معاهدا، أو انتقصه حقا، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة".[11]

ولكن نقرأ في القرآن الكريم آيات أخرى مضادة للموقف السابق، منها مثلا:

فقد ورد في سورة المائدة، وهي سورة مدنية، تجسد التشدد في الموقف حيث ورد ما يلي:

" لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ."[12] ثم يتشدد القرآن الكريم في ذات السورة وفي الآية 77، ثم يكرر ذلك في الآية 171 من سورة النساء وبصيغة أكثر تشدداً حيث ورد فيها ما يلي:

---

10 المصدر السابق نفسه، سورة المائدة. الآية الخامسة.

11 انظر: منتديات برق. موقع على الإنترنيت. أخذ الحديث بتاريخ 2016/8/6.

12 المصدر السابق نفسه، سورة المائدة، الآية 77.

" يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا * لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا. *[13]

وفي الآيتين 100 و101 من سورة الأنعام يؤكد القرآن الكريم ما يلي:

 وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ

 بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ".[14]

ملاحظة: هناك فهم خاطئ لدى المسلمين في فهمهم أو تفسيرهم لثلاثية الأب والابن وروح القدس. ويمكن للحوار بين المهدي، الخليفة العباسي، وطيمثاوس الأول ما يساعد على فهم ما يقصد به المسيحيون بهذا التثليث: سأل المهدي: " »أتؤمن بالأب والابن والروح القدس«؟ أجاب قائلاً: «أيها الملك، إن الاعتقاد بهذه الأسماء الثَّلاثة هو اعتقاد بثلاثة أقانيم، أعني الأب والابن والرُوح القدس، الذين هم: إله وطبيعة واحدة وجوهر واحد. كذا نؤمن ونعتقد، على ما علّمنا صريحا عيسى عليه السلام، وتعلمنا ذلك أيضاً من الأنبياء .ولنا برهان على ذلك في المخلوقات. فكما أن ملكنا (يقصد الخليفة المهدي) محب الله هو واحد مع كلمته وروحه وليس بثلاثة ملوك، ولا يمكن أن ينفصل منه كلمته وروحه، ولا يسمى ملكاً دون الكلمة والروح. هكذا الله تعالى أنه واحد مع كلمته وروحه وليس بثلاثة آلهة، إذ لا يمكن أن ينفصل منه الكلمة والرُوح. كذا الشمس مع أشعتها وحرارتها هي واحدة وليست بثلاث شموس«. (راجع: رشيد الخيون، المسيحية والإسلام.. طيمثاوس الأول والخليفة المهدي، جريدة الاتحاد، 6 شباط/فبراير 2019).

[13] المصدر السابق نفسه، سورة النساء. الآية 171.

[14] المصدر السابق نفسه، سورة الأنعام، مكية. الآيات 100 و101.

والأمر الأكثر تطرفاً يبرز في مواقف شيوخ الدين وفتاواهم المناهضة لأتباع الأديان الأخرى وأتباع المذاهب الأخرى في الإسلام. وهي التي تساهم بدورها في تشديد عدم التفاهم والتوتر والصراع والنزاع وتقود إلى القتل العمد باعتبار هؤلاء كفرة يجوز نحرهم!!!

لقد حصل هذا في التاريخ الطويل للإسلام وعبر جميع الدول التي تبنت الإسلام، كما حصل بالدولة الأموية والدولة العباسية والدولة العثمانية، وكذلك بالدول الحديثة، ذات الأكثرية المسلمة، سواء أكان من بعض حكومات تلك الدول أو من قوى إسلامية سياسية متطرفة فيها.

وتاريخ العراق الأموي والعباسي والعثماني مليء بأحداث التمييز والتهميش والإقصاء والقتل لأتباع الأديان الأخرى وأتباع المذاهب الأخرى في الإسلام أيضاً، مع وجود حالات إيجابية بين فترة وأخرى! إن المشكلة تكمن في الأساس الأيديولوجي لهذه المواقف وفي العقلية النمطية في التفكير والفعل. ولا يمكن الخلاص من ذلك ما لم يخض المسلمون عملية تنوير دينية واجتماعية، عملية تنوير حضارية ينزعون من رؤوسهم أيديولوجية ألـ "أنا والـ "آخر"، أنا الجيد والآخر السيء وديني الأجود وأديان الآخرين الأسوأ ...الخ، ما لم يتعلموا الاعتراف بالآخر وحقه في الإيمان بهذا الدين أو ذاك، وبهذا المذهب أو ذاك، أو لا يؤمنوا باي دين أو مذهب، إنه جزء من حقوق الإنسان على الصعيد العالمي، ولا يمكن أن يضع المسلمون والمسلمات أنفسهم فوق الجميع ويفرضون دينهم على الجميع، ومن يرفض فالموت حتفه!!! هذه الرؤية المنغلقة الاقصائية تشكل السبب في التطرف على مدى تاريخ الإسلام والمسلمين والمسلمات، وكانت قبل ذاك أو ما تزال في الوقت الحاضر تشكل السبب في تطرف الأديان الأخرى حيثما برزت هذه الظاهرة، وهي السبب في ظهور القاعدة وداعش والمليشيات الطائفية المسلحة وما يماثلها بالدول ذات الأكثرية الإسلامية، أو أينما وجد مسلمون ومسلمات في العالم. وهذا الواقع الإسلامي لا ينفي بأي حال التطرف الديني والتمييز بين الأديان والمذاهب لدى الديانات الأخرى، سواء أكان ذلك بالنسبة لأتباع الديانة المسيحية أو الديانة اليهودية أو الديانة الهندوسية أو غيرها من الديانات، حتى بعد عمليات التنوير التي حصلت بالنسبة لأتباع الديانتين المسيحية واليهودية مثلاً.

وسنحاول فيما يأتي المرور على بعض الوقائع المهمة منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة. وسيقتصر البحث هنا حول محنة المكونات الدينية في العراق، وهم المسيحيون والإيزيديون والصابئة المندائيون والشبكيون والكاكائيون والزرادشتيون والبهائيون والبابيون.

حين تأسست الدولة العراقية الملكية في العام 1921 وجدت في العراق، وحتى يومنا هذا، القوميات والأديان والمذاهب التالية:

أولاً: القوميات: العربية، القومية الكردية، والكرد الفيلية، وهم جزء من الأمة والقومية الكردية، القومية الآشورية، والكلدانية، والسريانية، والأرمنية، والتركمانية، والفارسية. وتشير المعطيات الخاصة بعدد نفوس أتباع القوميات التي شملها التقدير أو الإحصاء الرسمي عن الفترة بين 1919-1957 إلى أرقام الجدول التالي:

جدول رقم 1

التركيبة القومية للسكان في العراق في السنوات 1919، 1947 و1957

التفاصيل	1919		1947		1957	
القومية	عدد السكان بالآلاف	النسبة %	عدد السكان بالآلاف	النسبة %	عدد السكان بالآلاف	النسبة %
العرب	2206	76,7	3746	80,1	4950	78,1
الكرد	500	17,4	793	16,9	1061	16,7
التركمان	61	2,1	82	1,7	142	2,2
الآخرون*	111	3,8	56	1,3	185	2,9
المجموع	2868	100,0	4677	100,0	6338	100,0

قارن: د. فاضل الأنصاري، مشكلة السكان، نموذج القطر العراقي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1980، ص 22.

*** الآخرون تشمل القوميات الأخرى، وهي الآشورية والكلدانية والسريانية والتركمانية والفارسية والأرمنية، كما تشمل اليهود والمندائيين والزرادشتية والبهائية والبابية، في حين احتسب الإيزيديون ضمن الكرد.**

ثانياً: الأديان: الإسلام، اليهودية، المسيحية، المندائية، الإيزيدية، الكاكائية، البهائية، الزرادشتية، والبابية، إضافة إلى وجود ملحدين.

ثالثاً: المذاهب

أ- المذاهب في الإسلام: السنة: المذاهب الأربعة التالية، الحنفية والشافعية والحنبلية والمالكية، وكذلك الشيعة، وأغلبهم جعفرية، أو من يطلق عليهم بـ "الاثنا عشرية" أو الإمامية، إضافة إلى وجود الشبك والكاكائية (أهل الحق) والكثر من الفرق الأخرى.

ب- الطوائف الدينية في المسيحية: توجد 14 طائفة وعلى النحو التالي: 1- طائفة الكلدان، 2- الطائفة الآثورية، 3 – الطائفة الآثورية الجاثليقية، 4 - طائفة السريان الأرثوذكس، 5 - طائفة السريان الكاثوليك، 6 - طائفة الأرمن الأرثوذكس، 7 - طائفة الأرمن الكاثوليك، 8 - طائفة الروم الأرثوذكس، 9 - طائفة الروم الكاثوليك، 10 - طائفة اللاتين، 11 - الطائفة البروتستانتية والإنجيلية الوطنية، 12 - الطائفة الإنجيلية البروتستانتية الآثورية، 13 - طائفة الادفنتست السبتيين، 14 - الطائفة القبطية الارثوذكسية.

ج- اليهود: شكل اليهود في العراق فرقة واحدة اعتمدت التلمود والتوراة في آن، والتي يمكن ان يطلق عليهم مجازاً بالسفارديم.[15] وفي القرن الثامن الميلادي برزت بينهم فرقة لم تتوسع وبقيت قليلة العدد حتى الآن، يطلق عليها أسم "فرقة القرائين اليهود"[16]، التي رفضت التلمود وأكدت على التوراة. ومؤسس هذه الفرقة الصغيرة هو عنان بن داود، واعتبرت خارجة عن الدين اليهودي. (د. جعفر هادي حسن، فرقة القرائين اليهود، مؤسسة فجر، بيروت-لندن، ط 1، 1989).

د- الإيزيدية: بالنسبة لأتباع الدين الإيزيدي يعود وجودهم إلى آلاف السنين المنصرمة في هذه المنطقة من العالم، وأنهم من القومية الكردية، ولكن هناك مجموعة صغيرة تعتبر نفسها عربية، وأنها تعود في مرجعيتها ليزيد بن معاوية، كما توجد مجموعة تعتقد بأنهم من قومية خاصة هي الإيزيدية، أي أنهم ليسوا كرداً ولا عربا.

الصابئة المندائيون: لا توجد طوائف بينهم وهم طائفة واحدة ويقدر عمر هذه الطائفية بآلاف السنين، وهم أراميون.

---

[15] كلمة السفارديم تعني هؤلاء اليهود الذين هجروا من إسبانيا سنة 1492 الى دول البلقان والإمبراطورية العثمانية وهولندا بعد عصر التفتيش وكان عددهم يفوق عدد اليهود في الشرق الأوسط. وهؤلاء يختلفون عن اليهود في بلاد ما بين النهرين، ولكنهم أتبعوا تعاليم مرجعية بابل. وينتمي يهود العراق الى الكنيس الإسباني والبرتغالي المسمى السفاردي، لأن التعاليم هي على نفس المبادئ التي كانت في بابل أو العراق. وحتى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانت الفتوات تصدر من العراق، ولكن في أواخر القرن التاسع عشر أصبح النظام الديني اليهودي تابعا للقوى الدينية اليهودية في الدولة العثمانية. وعلى العموم أصبح هناك مصطلحان، أشكناز ويطلق على يهود ألمانيا، والسفارديم ويطلق على يهود اسبانيا. وعلى العموم يطلق على كل من ليس بأشكنازي بسفارديم.

[16] برز القراؤون في العراق في القرن العاشر وحصلت منازعات عديدة قبل تغلب القوى الدينية التقليدية، فقل نفوذهم مع بقاء قسم قليل منهم ومن المتصوفين في القرن التاسع عشر ولكنها انقرضت منذ أكثر من قرن.

هـ- بقية الأديان لا يوجد لها أتباع بأعداد كبيرة في العراق سنأتي على ذكرهم لاحقاً. أما التركمان في العراق فيتوزعون على مذهبين السني والشيعي.

وتشير المعطيات المتوفرة عن عام 1920 إلى اللوحة السكانية الرقمية التالية:

جدول رقم 2

بنية العراق السكانية في العام 1920

المدينة	مسلمين سنة/ نسمة	مسلمين شيعة/ نسمة	يهود/ نسمة	مسيحيون/ نسمة	ديانات أخرى/ نسمة	المجموع/ نسمة
بغداد	130,000	54,000	50,000	15,000	1,000	250,000
الأنبار	247,000	200	2,600	200	.....	250,000
الموصل	244,713	17,180	7,635	50,670	30,180	350,378
صلاح الدين	66,455	14,215	300	.....	.....	80,970
ديالى	54,953	46,097	1,689	397	900	104,036
كركوك	85,000	5,097	1,400	600	.....	92,000
السليمانية	153,900	.....	1,000	100	.....	155,000
اربيل	96,100	.....	4,800	4,100	1,000	106,000
الحلة	15,983	155,897	1,065	27	28	173,000
قضاء الشامية	445	189,000	530	20	5	190,000
الكوت	8,578	98,712	381	127	.....	107,798
الديوانية	1,000	192,300	6,000	5,000	200	207,500
البصرة	24,408	130,494	6,928	2,221	1,549	156,600
العمارة	7,000	284,700	3,000	300	5,000	300,000
الناصرية	11,150	306,220	160	30	2,440	320,000
العدد الكلي	1,146,685	1,491,015	87,488	78,792	42,302	2,849,282
النسب %	40.2	52.4	3.1	2.8	1.5	100

المصدر: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، البيانات واردة حسب وزارة الشؤون الاجتماعية العراقية إحصاء العراق 1947 م (بغداد 1954 م)، في هذا الإحصاء تم استثناء رجال القبائل الرحل المقدر عددهم عام 1947 م بـ 170 ألف نسمة ومعظمهم من المسلمين (حسب المصدر ذاته). كما إن الأديان الأخرى تشمل الصابئة المندائيون والإيزيديون والبهائيون والزرادشتيون والبابيون.

ومنه يتبين إن هذا الجدول لا يتضمن أتباع الأديان الأخرى واقتصر على المسلمين واليهود والمسيحيين، ووضع أتباع الأديان الأخرى في خانة (ديانات أخرى)، والذين بلغت نسبتهم 1,5% من إجمالي السكان حينذاك. وهي أرقام يصعب الاعتماد عليها ولكن لا يوجد غيرها، علماً بوجود تقدير يشير إلى أن أتباع القوميات الأخرى بلغت نسبتهم 3,8% من مجموع السكان في العام 1919 وهم من ديانات أخرى وليسوا بمسلمين.

جدول رقم 3

وفي الإحصائية الآتية تشير إلى التوزيع الإقليمي للبنية السكانية الدينية في العراق لعامي 1957 و1965

المنطقة	السكان المسلمون		السكان المسيحيون		السكان الإيزيديون		الصابئة		اليهود		السكان الآخرون	
المحافظات	عدد السكان	%	عدد سكان	%	العدد	%	عدد السكان	%	العدد	%	العدد	%
العراق 57	6.057.492	100.0	206.206	100	55.885	100	11.825	100	5.945	100	1.039	100
العراق 65	7.711.712	100,0	232.406	100	69.653	100	14.262	100	3.187	100	16.217	100
الشمالية 75	1.555.288	25,6	112.621	54,9	55.195	98,9	359	3,0	278	11,2	240	23,3
الشمالية 65	1.943.039	27,4	92.861	40,0	68.948	99,0	305	2,1	165	5,2	12.973	80,3
الوسطى 57	3.230.302	53,3	80.947	39,1	531	0,9	5.421	45,1	5.127	79,0	693	67,6
الوسطى 65	4.132.700	53,5	125.717	54,1	617	0,9	7.492	52,5	2.717	85,2	2.927	18,0
منها بغداد 57	1.235.538	20,4	68.375	13,3	311	0,5	3.768	31,9	5.065	69,3	431	41,7
بغداد 65	1.913.575	24,8	120.058	51,6	533	0,7	6.271	43,9	2.614	82,0	2.324	14,3
الجنوبية 57	1.271.902	21,0	12.638	6,1	158	0,2	6.305	52,2	540	9,6	106	10,3
الجنوبية 65	1.635.973	21,2	13.828	5,9	88	0,1	6.465	45,3	305	9,5	273	1,7

قارن: د. فاضل الأنصاري، مصدر سابق، ص 31 و32. مأخوذ عن الإحصاء الحكومي.

وقبل البدء بالبحث فيما تعرض له أبناء وبنات أتباع الديانات والمذاهب الأخرى في العراق لا بد من الإشارة إلى أن منظمات حقوق الإنسان العراقية بحاجة إلى ابحاث تفصيلية عن ضحايا الحروب والاستبداد والتمييز والتعذيب التي حصلت في العراق خلال الفترة الواقعة بين 1963 – 2018 وما تعرض له الشعب العراقي عموماً، ولاسيما أبناء وبنات المكونات الدينية والمذهبية التي نحن بصددها، والتي يمكن بلورتها في الكوارث البشعة التالية التي حملتهم المزيد من الخسائر البشرية والتدمير، وهي:

**** الحروب الهمجية التي خاضها النظام البعثي الدكتاتوري نحو الداخل، وهما حربان ضد شعب كردستان وضد سكان الجنوب والكرد الفيلية والأهوار العراقية، وحروب أخرى نحو الخارج، سواء**

تلك التي فجرها النظام أم التي شُنت ضده، وهي الحرب ضد إيران (1980-1988)، وحرب احتلال الكويت 1990، وحرب تحريرها (1991)، ثم حرب الإطاحة بالدكتاتورية البعثية في العام 2003، وإعلان احتلال العراق حتى العام 2011، إذ في هذا العام تم خروج القوات الأمريكية، وبقية القوات المتحالفة في الحرب ضد العراق، من العراق.

**** النظام الاستبدادي القمعي الذي عرض حياة مئات ألوف العراقيين والعراقيات إلى الاعتقال والتعذيب والسجن والموت والتهجير القسري.**

**** كارثة الحصار الاقتصادي الدولي التي استمرت بين العام 1991 والعام 2013.**

**** ضحايا الاحتلال وعمليات القتل التي شملت عشرات آلاف العراقيين والعراقيات، وضحايا الاعتقال والتعذيب على أيدي قوات الاحتلال الأمريكية والبريطانية ولاسيما في معتقل أبي غريب سيء الصيت.**

**** ضحايا الإرهاب الذي مورس على أيدي الميليشيات الطائفية المسلحة الشيعية والسنية، والقتل على الهوية إزاء اتباع الديانات الأخرى، والقتل المتبادل بين تلك الميليشيات الشيعية والسنية في أوساط السكان من أتباع المذهبين.**

**** ضحايا سياسات النظام السياسي الطائفي واجتياح تنظيمات داعش الإرهابية للموصل وسهل نينوى والمحافظات الغربية وديالى وكركوك ووقوع عمليات الإبادة الجماعية بالموصل وعموم نينوى.**

لقد تعرض العديد من المكونات القومية والدينية العراقية إلى عمليات إبادة جماعية وضد الإنسانية، على وفق التوصيف الدولي لهذا المصطلح. فما هو مفهوم ومكونات أو مفردات الإبادة الجماعية؟

مفهوم الإبادة الجماعية

أغلب المصادر التي تبحث في مفهوم ومضمون الإبادة الجماعية تشير إلى الباحث البولوني المولد والمعروف عالمياً رفائيل لَمكين Raphael Lemkin (1900-1959م)[17]، إذ نشر أول ابحاثه في

---

17 ملاحظة: الباحث البولوني رفائيل لمكين فقد جل أفراد عائلته في المحرقة النازية التي نفذها النازيون الألمان في أوروبا في فترة الحرب العالمية الثانية على نحو خاص. وقد بدأ أبحاثه بشأن الإبادة الجماعية قبل ذاك بسنوات، ولم يدر أنه سيفقد أفراد عائلته في مثل هذه المجازر البشرية التي ينفذها كل المتطرفين والمتشددين العنصريين والطائفيين وغيرهم ممن يقع ضمن تعريف الإبادة الجماعية. كاظم حبيب

العام 1933 وقبل ان يرتكب الفاشيون الألمان جريمتهم الكبرى في الحرب العالمية الثانية وفي المحرقة النازية في معسكرات الاعتقال الوحشية. وكان أول من وضع الأساس الفكري والفلسفي والسياسي لمفهوم الإبادة الجماعية على الصعيد البولوني والعالمي.

تطور فكر الإبادة الجماعية لديه ابتداءً من العام 1933 حين شخصها بالممارسات البربرية التي تشمل:[18]

البربرية

التدمير المبيَّت للتجمعات القومية والعرقية والدينية والاجتماعية بما فيها: أفعال الإبادة الموجهة ضد تجمعات عرقية أو دينية أو اجتماعية؛ أيًّا كان الدافع وراءها، سياسيًّا أم دينيًّا... إلخ)؛ كالمجازر، والمذابح المدبرة، والأفعال المنفذَة بغية تدمير الوجود الاقتصادي لأعضاء تجمع ما...إلخ، وتتصل بهذه الفئة أنواع الأعمال الوحشية التي تتعرض لكرامة الفرد، كأعمال الإهانة.

ثم ربط ذلك في الفترة ذاتها بعمليات التخريب المتعمدة حيث أشار إلى ما يلي:[19]

التخريب

المتعمد للممتلكات العامة، وهو تدمير لأعمال الفن والثقافة التي تعبر عن مجموعة بعينها، وتميزها عن باقي المجموعات، ويعدُّ تعبيرًا عن عبقرية تميز تلك المجموعات عن غيرها.

وفي العام 1944 وفي ضوء دراساته لهذه الظاهرة العدوانية في المجتمعات البشرية توصل إلى تحديد مفهوم الإبادة الجماعية على النحو التالي:[20]

الإبادة الجماعية

تدمير أمة، أو مجموعة عرقية، فهذه الكلمة الجديدة مركبة من الكلمة اليونانية genos (العرق أو القبيلة) واللاتينية cide (قتل).

---

[18] أنظر: مارتن شو، الإبادة الجماعة، نقله إلى العربية محيي الدين حميدي، الطبعة العربية الأولى، الرياض، 2017. ص 34.

[19] المصدر السابق نفسه.

[20] المصدر السابق نفسه.

ثم عمد إلى توضيح الفكرة بقوله:[21]

ثمة مصطلح آخر يمكن استخدامه للفكرة ذاتها، أي الإبادة الجماعية، وهو الإبادة الإثنية. ويتكون من الكلمة اليونانية ethnos أمة، والكلمة اللاتينية cide بمعنى قتل.

وفي العام 1947 طلبت منه الأمم المتحدة بتقديم مسود قرار حول الإبادة الجماعية Genoside بالإنكليزية، و Voelkermord بالألمانية، والإبادة الجماعية أو إبادة شعب بالعربية. إلا إن مفهوم لمكن للإبادة الجماعية قد تطور بفعل النقاشات بالأمم المتحدة والأحداث التي مرت بها البشرية وارتباطاً بالجرائم التي يمكن أن ترتكب في الحروب ، وهي جرائم ضد الإنسانية، إضافة إلى أن الحروب ذاتها جرائم ضد الإنسانية. وقد تبنت الأمم المتحدة اتفاقية بشأن الإبادة الجماعية في التاسع من كانون الأول عام 1948، أي قبل يوم واحد من تبني الأمم المتحدة للائحة الدولية لحقوق الإنسان في العاشر من شهر كانون الأول 1948. فما هي ملامح هذه الاتفاقية المهمة في حياة البشرية والحضارة الإنسانية الحديثة؟

"إن الأطراف المتعاقدة:

إذ ترى أن الجمعية العامة للأمم المتحدة، بقرارها 96 (د – 1) المؤرخ في 11 كانون الأول / ديسمبر 1946، قد أعلنت أن الإبادة الجماعية جريمة بمقتضى القانون الدولي، تتعارض مع روح الأمم المتحدة وأهدافها ويدينها العالم المتمدن.

وإذ تعترف بأن الإبادة الجماعية قد ألحقت، في جميع عصور التاريخ، خسائر جسيمة بالإنسانية، وإيماناً منها بأن تحرير البشرية من مثل هذه الآفة البغيضة يتطلب التعاون الدولي.

تتفق على ما يلي:

المـادة الأولى

تصادق الأطراف المتعاقدة على الإبادة الجماعية، سواء ارتكبت في أيام السلم أو أثناء الحرب، هي جريمة بمقتضى القانون الدولي، وتتعهد بمنعها والمعاقبة عليها.

[21] المصدر السابق نفسه.

المـادة الثانية

في هذه الاتفاقية، تعني الإبادة الجماعية أياً من الأفعال التالية، المرتكبة على قصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو أثنية أو عنصرية أو دينية، بصفتها هذه:

(أ) قتل أعضاء من الجماعة.

(ب) إلحاق أذى جسدي أو روحي خطير بأعضاء من الجماعة.

(ج) إخضاع الجماعة، عمداً، لظروف معيشية يراد بها تدميرها المادي كلياً أو جزئياً.

(د) فرض تدابير تستهدف الحؤول دون إنجاب الأطفال داخل الجماعة.

(هـ) نقل أطفال من الجماعة، عنوة، إلى جماعة أخرى.

المـادة الثالثة

يعاقب على الأفعال التالية:

(أ) الإبادة الجماعية.

(ب) التآمر على ارتكاب الإبادة الجماعية.

(ج) التحريض المباشر والعلني على ارتكاب الإبادة الجماعية.

(د) محاولة ارتكاب الإبادة الجماعية.

(هـ) الاشتراك في الإبادة الجماعية.

المـادة الرابعة

يعاقب مرتكبو الإبادة الجماعية أو أي من الأفعال الأخرى المذكورة في المادة الثالثة، سواء كانوا حكاماً دستوريين أو موظفين عامين أو أفراداً.

المـادة الخامسة

يتعهد الأطراف المتعاقدون بأن يتخذوا، كلٌ طبقاً لدستوره، التدابير التشريعية اللازمة لضمان إنفاذ أحكام هذه الاتفاقية، وعلى وجه الخصوص النص على عقوبات جنائية ناجعة تنزل بمرتكبي الإبادة الجماعية أو أي من الأفعال الأخرى المذكورة في المادة الثالثة." [22]

إن ما ورد من معايير إنسانية في المواد الخمس أعلاه يتفق تمام الاتفاق مع طبيعة الجرائم التي ارتكبت في القرن العشرين ضد الأرمن بالدولة العثمانية في الفترة 1914-1918 وضد المسيحيين الآشوريين والكلدان في تلك الفترة وقبلها، كما تنطبق على الجريمة التي ارتكبت ضد الأشوريين في العراق في العام 1933 بسميل، وكذلك الجريمة التي ارتكبت ضد الشعب الكردي بكردستان العراق من قبل النظام الدكتاتوري البعثي والدكتاتور صدام حسين ورهطه من البعثيين، ولاسيما علي حسين المجيد، القائد المباشر للقوى العسكرية والمدنية التي ارتكبت الجريمة بكردستان العراق في العام 1988، إضافة الى الجرائم التي ارتكبت في العام 2014 -2017 بمحافظة نينوى، ولاسيما ضد الإيزيديين بسنجار وضد المسيحيين بالموصل وسهل نينوى، وضد الشبك والتركمان. وهي لا تختلف من حيث الجوهر عما ارتكب بألمانيا النازية ضد اليهود في المحرقة النازية الشهيرة التي تعتبر وصمة عار في جبين المانيا النازية والحزب النازي الألماني وزعيمها الدكتاتور المجرم أدولف هتلر وبطانته. كما إنها تتطابق مع ما وقع بإقليم كردستان العراق في العام 1988 من قبل نظام البعث الدكتاتوري من عمليات إبادة جماعية وضد الإنسانية، إضافة لما حصل للكرد الفيلية وسكان الأهوار في جنوب العراق.

---

[22] أنظر: اتفاقية منع ارتكاب جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها في 1948/12/09، موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر ICRC، اخذت المواد الخمسة من الاتفاقية بتاريخ 2017/08/17.

الفصل الأول: العراقيون اليهود

يعود تاريخ اليهود إلى الفترة الواقعة بين 859–586 ق.م، حيث جيء بهم أسري من مناطق أورشليم والسامرة ومملكة يهوذا، أي في عدة حملات عسكرية ابتداءً من الحملة الأولى في عهد الملك شلمنصر الثالث الآشوري (746 – 727 ق.م)، واستمراراً بحملة الملك سنحاريب الآشوري (705– 681 ق.م) وأخيراً قام الملك نبوخذ نصر في فترة الحكم الكلداني بحملته العسكرية على مملكة يهوذا والتي أطلق على الأسرى الذين جلبهم إلى بابل بـ "السبي البابلي" في العام 586 ق.م. وبالتالي فيمكن اعتبار اليهود من أقدم الشعوب التي قطنت بلاد ما بين النهرين. حين أقيمت الدولة العراقية الملكية الحديثة وفي عهد الملك فيصل الأول تمتع اليهود كباقي أتباع الأديان بوضع طبيعي ومارسوا دياناتهم وأعمالهم الاعتيادية دون منغصات. إلا إن هذا الوضع قد تغير مع وصول الملك غازي الأول إلى عرش البلاد، وحين برزت الاتجاهات الفكرية القومية المتطرفة وبرز نشاط ملموس لألمانيا الهتلرية في العراق، ومع تعقد الأوضاع في فلسطين والهجرة اليهودية إليها، وقبل ذاك منحت الدولة البريطانية المنتدبة على فلسطين ليهود العالم الحق في إقامة دولة لهم بفلسطين على وفق وعد بلفور في 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1917، حيث احتدم الصراع بعدها في أعقاب الثورة الفلسطينية في عام 1936 ضد الاحتلال البريطاني.

كان يهود العراق يعيشون مع بقية مواطنات ومواطني العراق في أحياء في الغالب الأعم مشتركة، إذ لم تكن هناك غيتوات خاصة باليهود معزولة عن بقية السكان، ولاسيما في المدن الرئيسية مثل بغداد والبصرة والموصل. ويمكن للقائمة الآتية، المأخوذة من سجلات مخاتير محلات بمدينة بغداد في العام 1918، أي قبل مائة عام بالتمام والكمال، تشير إلى هذه الحقيقة حيث وجدت 59 محلة ببغداد، عاش في 53 منها مسلمون ويهود و6 فقط كانت خاصة بأحدهما. بلغ تعداد سكان بغداد 126484 نسمة، منهم 77296 مسلماً و41058 يهودياً و8130 مسيحياً. أي بالنسب التالية: 61,1%، 32,5%، 6,4% على التالي.

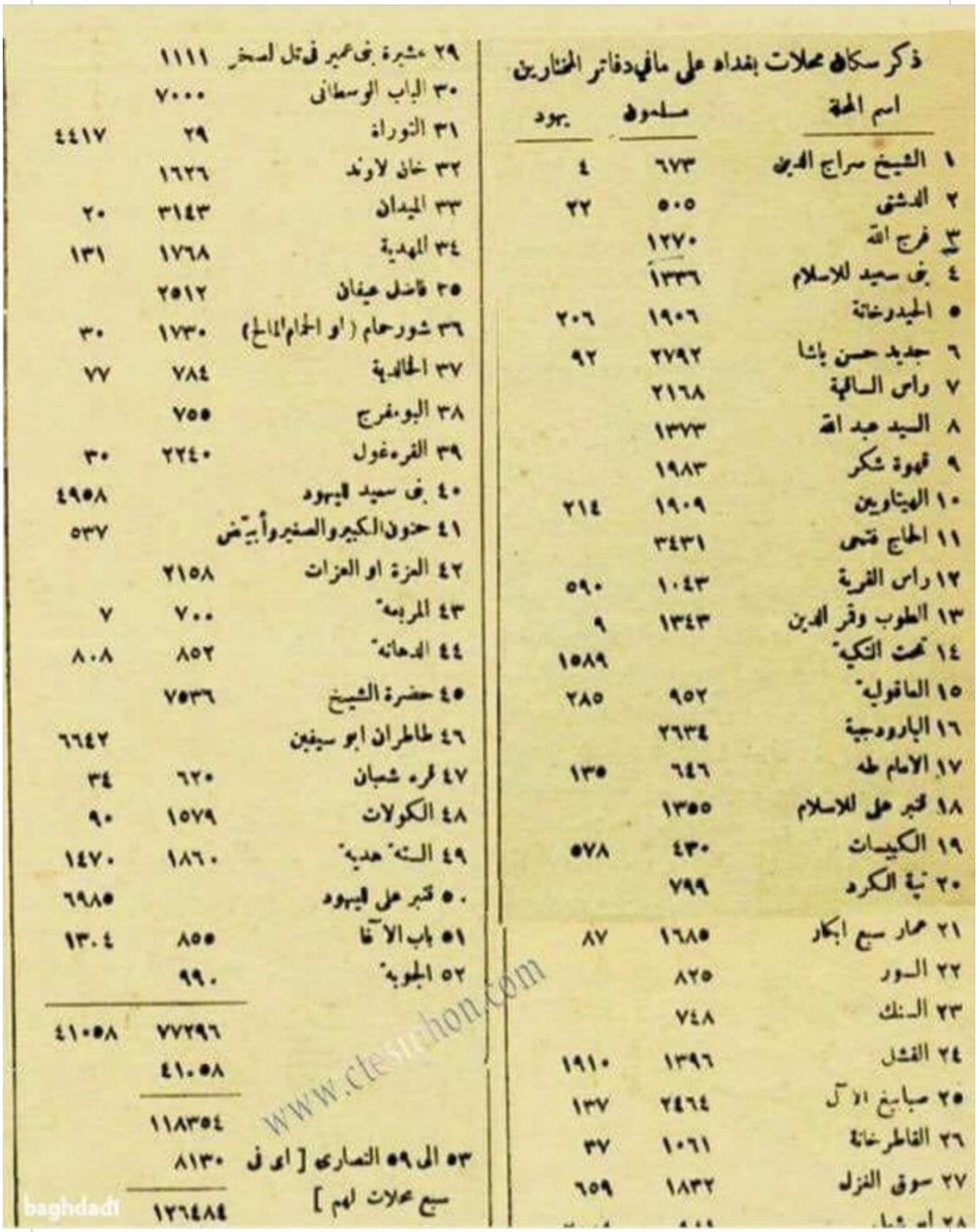

ذكر سكان محلات بغداد على مافي دفاتر المتاخرين

اسم المحلة	مسلمون	يهود	
١ الشيخ سراج الدين	٦٧٣	٤	
٢ الدشتي	٥٠٥	٢٢	
٣ فرج الله	١٢٧٠		
٤ بني سعيد للاسلام	١٣٣٦		
٥ الحيدرخانة	١٩٠٦	٢٠٦	
٦ جديد حسن باشا	٢٧٩٢	٩٢	
٧ راس السالمية	٢١٦٨		
٨ السيد عبد الله	١٣٧٣		
٩ قهوة شكر	١٩٨٣		
١٠ الهيتاويين	١٩٠٩	٢١٤	
١١ الحاج قنبر	٣٤٣١		
١٢ راس القرية	١٠٤٣	٥٩٠	
١٣ الطوب وقبر الدين	١٣٤٣	٩	
١٤ تحت التكية		١٥٨٩	
١٥ الماقولية	٩٥٢	٢٨٥	
١٦ البارودجية	٢٦٣٤		
١٧ الامام طه	٦٤٦	١٣٥	
١٨ قبر علي للاسلام	١٣٥٥		
١٩ الكيسات	٤٣٠	٥٧٨	
٢٠ تحت الكرد	٧٩٩		
٢١ عمار سبع ابكار	١٦٨٥	٨٧	
٢٢ السور	٨٢٥		
٢٣ السنك	٧٤٨		
٢٤ القشل	١٣٩٦	١٩١٠	
٢٥ صابغ الآل	٢٤٦٤	١٣٧	
٢٦ القاطرخانة	١٠٦١	٣٧	
٢٧ سوق الغزل	١٨٣٢	٦٥٩	

٢٩ عشيرة بني عمير في تل الصخر	١١١١	
٣٠ الباب الوسطاني	٧٠٠٠	
٣١ التوراة	٢٩	٤٤١٧
٣٢ خان لاوند	١٦٢٦	
٣٣ الميدان	٣١٤٣	٢٠
٣٤ المهدية	١٧٦٨	١٣١
٣٥ فاضل عيفان	٢٥١٢	
٣٦ شورحام (او الحمام المالح)	١٧٣٠	٣٠
٣٧ الخالدية	٧٨٤	٧٧
٣٨ البومفرج	٧٥٥	
٣٩ القرمغول	٢٢٤٠	٣٠
٤٠ بني سعيد اليهود		٤٩٥٨
٤١ حنون الكبير والصغير وأبيض		٥٣٧
٤٢ العزة او العزات	٢١٥٨	
٤٣ المربعة	٧٠٠	٧
٤٤ الدهانة	٨٥٢	٨٠٨
٤٥ حضرة الشيخ	٧٥٣٦	
٤٦ طاطران ابو سيفين		٦٦٤٢
٤٧ قره شبان	٦٢٠	٣٤
٤٨ الكولات	١٥٧٩	٩٠
٤٩ السنة هدية	١٨٦٠	١٤٧٠
٥٠ قبر علي اليهود		٦٩٨٥
٥١ باب الآغا	٨٥٥	١٣٠٤
٥٢ الجوبة	٩٩٠	
	٧٧٢٩٦	٤١٠٥٨
	٤١٠٥٨	
	١١٨٣٥٤	
٥٣ الى ٥٩ النصارى [اي في سبع محلات لهم]	٨١٣٠	
	١٢٦٤٨٤	

www.cleyrchon.com
baghdadi

كان هذا قبل تشكيل الدولة العراقية الحديثة وفي ظل الحكم الاستعماري التركي القديم الذي انتهى في العام 1917 باحتلال بغداد من قبل القوات البريطانية، وبدء الحكم الاستعماري البريطاني للعراق وتشكيل الدولة العراقية عام 1921. لقد كانت العلاقات بين المواطنين من مختلف الديانات طبيعية إلى حدود جيدة، وحاول الملك فيصل الأول الحفاظ عليها خلال فترة حكمه حين توفي في العام 1933، بعدها تسلم الملك غازي الأول عرش العراق. وفي فترة حكمه ظهرت بوادر جدية صوب العداء لليهود، بشكل علني وأحياناً مستتر. ولكنها برزت بشكل أقوى بعد فوز الحزب النازي **أو حزب العمال القومي الاشتراكي الألماني (** Nationalsozialistische Deutsche

Arbeiterpartei) في العام 1933، وبذلك تسنى لـ "ادولف هتلر" أن ينتخب مستشاراً لألمانيا. وإذ كانت هناك علاقات ملموسة بين الحزب النازي الألماني والقوميين العرب في العراق وغيره من البلدان العربية، منذ نهاية العشرينيات من القرن العشرين، فإنها أصبحت واسعة ومتطورة بين القوميين العراقيين والعرب والدولة النازية في أعقاب وصول هذا الحزب للسلطة في ألمانيا.

لقد لعبت الدعاية النازية المناهضة لليهود دورها البارز في تنشيط التيار الفكري القومي اليميني في العراق، الذي برز في نادي المثنى بن حارث الشيباني، الذي تأسس ببغداد عام 1935 ونشط مفكرو القومية البارزين، وفي المقدمة منهم ساطع الحصري ومجموعة من العراقيين. ثم تأسس في العام 1940 حزب الشعب بقيادة رشيد عالي الكيلاني والحاج أمين الحسيني مفتي القدس ومجموعة من الضباط العراقيين. وهم الذين نفذوا انقلاب الأول من مايس عام 1941 على الملكية. واستمر الانقلاب شهراً واحداً ثم أسقطت حكومة الانقلاب برئاسة رشيد عالي الكيلاني بتظافر جهود أتباع الملكية والقوات البريطانية التي خاضت الحرب ضد القوات العراقية. ومع سقوط نظام الانقلابيين شنت مجموعات من البدو ومن أعضاء في فدائيي يونس السبعاوي والجنود الفارين من المعارك الخاسرة وجمهرة من القوميين العراقيين على بيوت الأحياء اليهودية ومحلات عملهم ومارسوا عمليات القتل والفرهود بشكل همجي فقتل على أثرها 144 مواطناً ومواطنة من اليهود، عدا الجرحى، كما سرقت الكثير من الأموال وما كان في دورهم من أشياء ثمينة. وحصل فرهود مماثل في البصرة دون أن يقع أي قتيل، إذ هب البصريون لنجدة مواطنيهم اليهود.

لقد زعزع هذا الوضع ثقة اليهود بالمواطنين من المسلمين، ومع ذلك فقد واصلوا الحياة والعمل ولم يفكروا بالنزوح إلى خارج العراق. ولكن إقامة دولة إسرائيل واستمرار وجود قوى قومية مناهضة لليهود، وبروز نشاط صهيوني منظم من قبل الموساد والمنظمات الصهيونية الأخرى في العراق،[23] قد أدى إلى بروز اتجاه محدود لدى مجموعة صغيرة من اليهود للهجرة من العراق

---

[23] كتب الدكتور خضر بصون بشأن الموساد ما يلي: الموساد في فترة الاربعينيات ليس نفس الموساد كما نعرفه الآن. ذلك الموساد كان يطلق على Mossad LeAliyah Bet = Institution for Immigration B وتأسس في عام 1938 كان جل اهتمامه بالهجرة غير الشرعية في زمن الانتداب البريطاني لفلسطين. بعد قيام دولة إسرائيل وفي 1949 وبإيعاز من بن غوريون تم تأسيس *HaMossad leModiʿin uleTafkidim Meyuḥadim* = Institute for Intelligence and Special Operations= معهد الاستخبارات والعمليات الخاصة.

إلى أوروبا أو إلى إسرائيل. وفي هذه الفترة اشتد الضغط النفسي والسياسي في الممارسة الحكومية ضد اليهود، سواء في منع فرص التوظيف للخريجين، أم العمل للراغبين فيه، أم في الدراسة لخريجي المتوسطة والإعدادية عنهم، مما أشاع الإحباط والخوف في صفوف يهود العراق. كما ساهمت التحقيقات الجنائية باعتقال وتعذيب الكثير من اليهود بذريعة التجسس لإسرائيل. كما نشأ نوع من العزلة الاجتماعية عليهم، بفعل الأجواء السياسية الضاغطة عليهم وعلى المجتمع في آن واحد. وخلال هذه الفترة تم عقد صفقة مساومة كبيرة بين حكومات بريطانيا وإسرائيل والعراق وبدعم من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت بمثابة خيانة فعلية ليهود العراق نتج عنها ترحيلهم، وبشتى السبل المشروعة وغير المشروعة، إلى إسرائيل. ففي شهر أيار من عام 1950 صدر القانون رقم 1 حول خيار إسقاط الجنسية عن اليهود العراقيات والعراقيين أولاً، ثم صدر القانون رقم 2 حول تجميد أموال اليهود المسقطة عنهم الجنسية العراقية. عندها بدأت الهجرة الواسعة التي شملت 130 ألف مواطنة ومواطن عراقي يهودي، إضافة على ما يقرب من 10000 مواطنة ومواطن يهودي هاجروا بسبل مختلفة بفعل الأوضاع السيئة والمريرة التي وضعوا فيها حينذاك. وقد كانت خسارة فادحة للعراق ولليهود العراق. ولا بد من قول الحقيقة في أن أغلب يهود العراق لم يكونوا راغبين في ترك وطنهم العراق وبعد مرور أكثر من 2700 سنة على وجود أجداهم في العراق. وقد شهدت الدول العربية الأخرى حالة مماثلة لحالة العراق في تهجير اليهود. لقد أشارت هذه الحالة إلى المخاطر الفعلية على الشعوب حين يسقط الاستعداد على قبول التنوع القومي والديني، ويسود الشعور القومي أو الديني العنصري والتمييز الديني ومناهضة أبناء وبنات القوميات وأتباع الأديان الأخرى في البلاد. ويشير الجدول الآتي إلى التطور في عدد السكان اليهود في العراق خلال الفترة الواقعة بين 1920 – 1954.

جدول رقم 3

التوزيع الجغرافي لتطور سكان العراق من اليهود بين 1920–1954

المدن	1920	1947			1954
	المجموع	رجال	نساء	المجموع	المجموع
بغداد	50.000	39.783	37.759	77.543	3742
سامراء	300	غ.م.	غ.م.	غ.م.	لا يوجد
ديالى	1.689	1.416	1.435	2.851	44
الكوت	381	194	155	349	39
الديوانية	6.000	403	423	825	95
الشامية	530	غ.م.	غ.م.	غ.م.	لا يوجد
الحلة	1.060	956	909	1.865	18

الدليم	2.600	749	693	1.442	15
الموصل	7.639	5.041	5.304	10.345	13
أربيل	4.800	1.493	1.616	3.109	لا يوجد
كركوك	1.400	2.048	1.994	4.042	5
السليمانية	1.000	1.105	1.166	2.271	6
البصرة	6.938	5.311	5.226	10.537	445
العمارة	3.000	1.101	1.030	2.131	17
المنتفك	160	341	311	652	22
كربلاء	–	غ.م.	غ.م.	39	لا يوجد
المجموع	87.487	59.964	58.036	118.000	4460

قارن: 1. رجوان، نسيم، موجز تاريخ يهود العراق. مصدر سابق، ص 129/128.

2. عبد الله، سعد سلمان. النشاط الدعائي لليهود في العراق. مكتبة مدبولي. القاهرة. ط 1.1999. ص 88، و195 و243.

راجع: كاظم حبيب، يهود العراق والمواطنة المنتزعة. دار المتوسط، إيطاليا، 2015.

من تبقى من يهود العراق عوملوا بشكل أفضل في أعقاب إسقاط النظام الملكي وقيام الجمهورية، حيث اعتبروا الفترة بين 1958–1962 من أحسن الفترات بالنسبة ليهود العراق وأطلقوا عليها بالفترة الذهبية. إلا إن هذا الوضع قد تغير من جديد بوصول التحالف البعثي القومي إلى الحكم في العام 1963 حيث مارسوا شتى أساليب التمييز والقهر والاضطهاد ضد المواطنين اليهود. وكان الإجراء الأسوأ ما حصل لهم في فترة حكم تحالف البعثيين والقوميين، إذ عمد النظام إلى سحب الهوية المدنية العراقية من اليهود الباقين وإبدالها ببطاقات صفراء، وكان ذلك هو الاجراء الأقوى اثرا وإساءة في نفوس الطائفة اليهودية، كما يؤكد اسحق شاؤول موشي: قررت الحكومة في زمن البعث سحب هوياتنا التي تدل على عراقيتنا أسوة بالآخرين واستبدلتها ببطاقة صفراء وهذا القرار كان خطوة حاسمة لأزاله تاريخ يهود العراق، وكانت نتائجه مؤلمة، فهو اعلان للجميع ولأول مرة في التاريخ المعاصر إن اليهودي لا يمكن ان يكون مواطنا حتى وان عاش في العراق المدة التي عاشتها الطائفة وهي 2600 عام". (موقع قصص الشتات اليهودي كما يرويها هاربون من العراق، بتاريخ 29 أيار/مايس 2017). كان هذا الإجراء شبيهاً بالإجراء العنصري والدموي الذي مارسه الحزب النازي والدكتاتور العنصري أدولف هتلر بألمانيا حين قرر وضع النجمة السداسية اليهودية بلون أصفر على ملابس اليهود لتمييزهم عن باقي البشر وعزلهم عن الباقين. وقد استخدم جهاز الغستابو الألماني نفس الملصق الذي وضع على صدور المعتقلين في معسكرات الاعتقال النازية ايضاً. وفي المعتقلات النازية ومحارقها

وعبر أساليب التعذيب والتجويع والقتل الأخرى بألمانيا والدول الأوروبية الأخرى، التي كانت تحت الاحتلال النازي، قَتَلَ النازيون العنصريون الفاشيون ستة ملايين إنسان يهودي ويهودية من مختلف الأعمار والجنسيات. لقد كانت جرائم إبادة جماعية لليهود في أوربا مارسها العنصريون الألمان وأُطلق عليها بالكارثة، أو "شواه" بالعبرية، أو الهولوكوست. 24

أما الفترات اللاحقة فكانت أقسى الفترات على يهود العراق، بعد أن وصل حزب البعث في العراق ثانية إلى السلطة في العام 1968، حيث بدأ ممارساته العنصرية المناهضة ليهود العراق، سواء باعتقالهم وتعريضهم للتعذيب أم بابتزازهم مالياً ومصادرة أموالهم المنقولة وغير المنقولة. ففي العام 1969 نظم حزب البعث ومجلس قيادة الثورة وأجهزة الأمن العراقية تهمة جبانة ضد 13 عراقياً، 9 منهم يهوداً وآخر والده يهودي و3 آخرين من المسلمين والمسيحيين، باعتبارهم عملاء لإسرائيل والصهيونية وحكم عليهم جميعاً بالإعدام شنقاً وعلقت جثثهم في ساحة التحرير في وسط بغداد في يوم الاثنين المصادف 27 كانون الأول/ديسمبر، وحضر مراسيم الإعدام صدام حسين، الذي كان حينذاك نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة. ويشير الكاتب قاسم محمد الحساني إلى هذه الحادثة بقوله: "في مثل هذا الشهر (كانون الأول، ك، حبيب) من عام 1969 اقدم نظام البعث على اعدام عدد من التجار العراقيين وعدد من اليهود الموجودين في العراق بتهمة التجسس على العراق لصالح اسرائيل وبلغ عدد الذين اعدموا بين 1968-1973 حوالي خمسين شخصاً، تم تعليقهم في ساحة التحرير ببغداد وساحة ام البروم بالبصرة، ومن ابرزهم

---

24 ملاحظة: كتب لي الصديق الأستاذ الدكتور نسيم قزاز، العراقي الولادة والتقدمي النهج، من إسرائيل الرسالة الآتية بتاريخ 2018/04/09 تعليقاً على هذه الدراسة المكثفة عن أوضاع المكونات الدينية غير الإسلامية في العراق:

تحيات لعزيزي الأخ الفاضل د. كاظم حبيب المحترم

قرأت بإمعان ما جاء بالمادة وليس بوسعي إلا الإشادة بها وبمحررها.

برأيي أن هناك نقطتين مهمتين يجب لفت النظر اليهما:

1- من الجدير بالإشارة أو المقارنة بين وضع اليهود بدار الإسلام وحالهم في أوربا المسيحية. فبالرغم من المرتبة الدونية التي فرضت الشريعة الإسلامية على أهل الكتاب (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وبالرغم من المآسي والإجحاف ا ضدهم من قبل الحكام المسلمين في فترات مختلفة، لم ترتكب ضدهم في الديار الإسلامية مجازر بالحجم التي كانت عليه في الدول المسيحية ولم تشكل ضدهم محاكم تفتيش لإرغامهم على التخلي عن دينهم واعتناق الدين المسيحي.

2- بعكس الدين الإسلامي والدين المسيحي لا يمارس الدين اليهودي حملات تبشير، فعلى الذي يرغب بالتهود أن يجتاز طريق طويلة وغير سهلة من شروط وفرائض يتوجب عليه الإلمام والقيام بها.

مع فائق التقدير والاحترام

د. نسيم قزاز

عزرا ناجي زلخا والبير حبيب توماس (مسيحي) ونعيم خضوري وداود حسقيل وداود غالي ويعقوب كرخي وفؤاد كباي وصباح الحكيم كذلك اعدم التاجر المسلم الشيعي عبد المحسن جار الله ومحمد عبد الحسين جيتا الشيعي من باكستان وكذلك التاجران المسيحيان زكي اندراوس زيتو وسامي حبيب توماس".(راجع: قاسم محمد الحساني، لماذا أعدم نظام البعث التجار واليهود عام 1969؟ موقع كتابات الثلاثاء 10 كانون ثاني/يناير 2017). وفي أوائل السبعينيات جرى قتل خمسة من أفراد عائلة قشقوش اليهودية العراقية في دارهم ببغداد من قبل أجهزة الأمن بتاريخ 12 نيسان/أبريل 1973، ونجت ابنة واحدة من العائلة كانت خارج البيت، ولكنها أصيبت بصدمة نفسية، حين رأت جثث افراد عائلتها مقطوعي الرؤوس مرمية في ساحة الدار، وهي ما تزال تعاني منها حتى الآن وتعيش بالولايات المتحدة الأمريكية. (راجع المصدر السابق نفسه). ولم تنشر الحكومة أي سبب لقتل هذه العائلة أو من هم القتلة، ولكن الناس عرفت بأن الجاني هو الحكم البعثي ذاته. لقد أرهقت هذه الأحداث بقية يهود العراق فبدأوا بالمغادرة بطرق شتى حتى لم يبق منهم إلا العدد القليل في عهد الدكتاتور صدام حسين، إذ لم يعد هناك ما يشُدّهم إلى وطنهم العراق، فحالات الاعتقال والتعذيب والاختطاف والابتزاز والقتل أصبحت حالة يومية في حياة يهود العراق.[25] وعلى وفق المعلومات المتوفرة لم يعد في العراق في نهاية العام 2017 سوى مجموعة لا يزيد عدد افرادها عن عدد أصابع اليدين، وهم من كبار السن، كما أغلقت منذ سنوات كثيرة جميع دور العبادة اليهودية (الكنيس) في العراق، بما فيها الكنيس الكبير في البتاوين.

لا ينفي أحد وجود جماعة من القوميين المتطرفين اليهود الذين آمنوا بالصهيونية منذ العشرينات من القرن العشرين، وازداد عددهم في الأربعينيات بعد أحداث الفرهود، ولكنهم كانوا قلة قليلة

---

[25] كتب لي الزميل الدكتور خضر بصون بشأن عدد السكان اليهود استناداً على ما جاء في كتاب الدكتور نسيم قزاز "نهاية الجالوت" ما يلي: "يُعتقد ان عدد اليهود بعد التسقيط بلغ بين 10000–12000 نسمة (في شباط 1952) أعلن الأمين العام لمراقبة وإدارة أموال اليهود المسقطة عنهم الجنسية العراقية إن عددهم نسمة 12000، اما مئير بصري فيقدر عددهم بما لا يربو على 1000 نسمة، اما وكالة الانباء العراقية ففي أيار 1952 فقد ذكرت إن عدد الذين احتفظوا بالجنسية العراقية يتراوح بين الخمسة والستة آلاف نسمة. في الاحصاء السكاني لسنة 1957 ذُكر إن عدد اليهود 4906 نسمة، اما وفقا للإحصاء الرسمي (حينما صدرت الهوية الصفراء = عدم اسقاط الجنسية) فهو 2974 نسمة، إذ يعتبر إحصاء 1957 هما الرقمان الصحيحان بحلول 1976 وهروب اغلبية اليهود في صيفي 1970 و1971، إذ لم يبق منهم أكثر من 300 نسمة والآن على عدد أصابع اليد." رسالة موجهة إلى الكاتب بتاريخ 2018/04/16، كاظم حبيب

جداً، ولم يكونوا مؤثرين على فكر وحياة يهود العراق، إذ إن غالبية يهود العراق وأكثر من 90% منهم، كانوا يعشقون الوطن العراقي وكانت لغة الأم عندهم العربية، ولم يكن الكثير منهم يعرف أو يجيد العبرية بجوار العربية.

إن تغييب يهود العراق عن لوحة الموزاييك العراقية أخلت بألوان اللوحة الجميلة والزاهية، وتعتبر خسارة فادحة لسكان العراق، فقد خسرهم الشعب العراقي، كما أنهم خسروا شعبهم في العراق. هذا هو شعور الغالبية العظمى من العراقيين ومن يهود العراق ويهودياته.

الفصل الثاني

العراقيون المسيحيون

الكوارث وحرب الإبادة ضد الآشوريين والكلدان والسريان بتركيا والعراق

إلى أحبتنا، إلى مواطناتنا ومواطنينا الآشوريين والكلدان والسريان، إلى مسيحيي ومسيحيات العراق، في الذكرى السنوية الحزينة والأليمة نقدم التعازي القلبية لما حل بعائلاتكم في منطقة حكاري بتركيا من مجازر بشعة وإبادة جماعية مماثلة لما تعرض لها الأرمن مع بدء الحرب العالمية الأولى وكذلك في الفترات اللاحقة، مما أُجبر الأجداد والآباء والأمهات على مغادرة مناطق سكناهم والهجرة الواسعة إلى العراق وإيران. وفي الحديث تعرض السكان الآشوريون والسريان إلى مجازر بشعة في ديرابون وسهل سُميل بنينوى. في الرابع والعشرين من شهر نيسان/أبريل من كل عام يحيي الآشوريون السريان ذكرى هذه المجزرة الأليمة. نشاركهم الحزن ونطالب الحكومة التركية لا الاعتذار لهم فحسب، بل وتعويضهم، كما نطالب الحكومة العراقية بالاعتذار لهم لما حل بهم من محنٍ ومآسٍ وكوارث. ثم كانت مجزة الكلدان في صوريا / العراق في العام. 1969 إنها مجازر ومآتم متلاحقة!! ك.ح

تبنى الآشوريون، والكلدان، والسريان، وهم من أحفاد أقدم شعوب العراق بعد السومريين والعاموريون (الآموريين) والأكديون، الدين المسيحي منذ القرن الأول للميلاد وساهموا في بناء الحضارة العراقية القديمة، حضارة أشور وبابل، وكذلك الحضارة العربية في عراق الدولة الأموية والعباسية والعثمانية، رغم ما عانوه من تمييز وتهميش وإقصاء من جانب أغلب الخلفاء والسلاطين والحكام العرب. وكانت الفترة الأموية اقل وطأة على المسيحيين من الفترات اللاحقة

ولعوامل كثيرة. الكثير من القرى والأرياف والمدن التي يسكنها النبط قد تبنوا المسيحية أيضاً وانتشرت بينهم، وأقيمت الكثير من الكنائس والأديرة في وسط وجنوب العراق، إضافة إلى شماله وغربه. كما تبنى الكثير من العرب في الحيرة مثلاً المسيحية. كان أغلب المسيحيين والمسيحيات الذين وجدوا في العراق قبل الحرب العالمية الأولى هم كلدان وسريان مسيحيون وأرمن. ومع بداية الحرب العالمية الأولى تعرض السكان الآشوريون والكلدان والأرمن من رعايا الدولة العثمانية، ومنها إقليم حكاري، إلى عمليات اضطهاد جديدة، تحولت إلى حملات إبادة جماعية. تشير الأبحاث التي تعرضت لحملات الإبادة التي نظمت ونفذت ضد المسيحيين بمختلف طوائفهم أثناء وجود الدولة العثمانية، إلى أن الآشوريين والسريان قد تعرضوا في العقد الأخير من القرن التاسع عشر إلى حملة عسكرية نفذت فيها مجزرة رهيبة راح ضحيتها الآلاف من الأشوريين والسريان الأبرار. وقد شارك في هذه الحملات القوات التركية والجندرمة وفرق الفرسان الحميدية. وكانت هذه الفرق شكلت بالأساس بمرسوم صدر عن السلطان عبد الحميد الثاني في كانون الثاني/يناير عام 1890 ونص على تشكيل فرسان (خيالة) من الكُرد في كُردستان. وقد نفذ هذا القرار في كانون الثاني/يناير من عام 1891.[26] و ساهمت هذه الفرق في المجزرة التي نظمها السلطان عبد الحميد الثاني ضد الآشوريين والسريان في الفترة الواقعة بين 1895-1898، في المدن ذات الأغلبية المسيحية التالية: آورهوي (أورفه أو الرها) وآميد (ديار بكر) وماردين وغيرها من القصبات التابعة لهذه المدن الرئيسية. وقد راح ضحيتها الآلاف من رعايا الدولة العثمانية.

أما الحملة الثانية فقد وقعت بين عامي 1914 و1915 في منطقة حكاري باعتبارها المنطقة الرئيسية للسكان الآشوريين.[27] وتشير التقديرات إلى أن عدد ضحايا الإبادة الجماعية ضد الآشوريين تجاوز النصف مليون من النساء والرجال والأطفال الآشوريين السريان. وفي الفترة ذاتها نفذت حملة واسعة جداً وشاملة وهمجية من الإبادة الجماعية ضد الأرمن، وهم من أصل أهل البلاد، ، إذ بلغ عدد ضحاياها أكثر من مليون إنسان أرمني مسيحي ومسيحية. ولم ينج منهم إلا القليل الذي فرّ إلى العراق ايضاً.

---

[26] أنظر: هوكر طاهر توفيق، الكُرد والمسألة الأرمنية 1877-1920. دار الفارابي – بيروت، ودار أراس –أربيل، إقليم كردستان العراق، 2014.

[27] أنظر: جميل حنا، مذابح إبادة الآشوريين في هكاري، الحوار المتمدن، العدد 4472 بتاريخ 2014/06/03.

ورغم الوعود التي قطعت للآشوريين والسريان من جانب الدولة البريطانية في إسكانهم في العراق، لم يتم الإيفاء بها. وعانى الآشوريون بشكل خاص الأمرين، مما دفعهم إلى رفض الحلول التي طرحت عليهم، وطرحوا حلولاً رفض الحكم العراقي تنفيذها، مما أدى إلى حصول صدامات هنا وهناك بسبب احتجاجاتهم. وقد استغل الحكام القوميون العرب الموقف المتشدد للآشوريين فشنوا حرباً شعواء ضدهم أدت إلى تنفيذ مجزرتين بشريتين نفذتا غدراً في العام 1933 في قرية "سُمَّيل" بسهل نينوى والأخرى بـ "ديرابون" على الحدود العراقية السورية، أدت إلى قتل غادرٍ للمئات من الرجال والنساء والأطفال، كما أصيب الكثير من الآشوريين، ولاسيما الرجال الآخرين بجروح في المجزرتين.

وقبل ذلك وفي فترة وجود فيصل الأول على عرش البلاد، لم يتعرض المسيحيون الكلدان والسريان والأرمن إلى تمييز ملموس، وكانوا يعملون بشكل طبيعي وفي مجالات كثيرة كباقي المواطنين. إلا إن تنامى ذلك بعد وقوع المجزرتين ضد الآشوريين، وفي فترة وجود فيصل ملكاً على عرش العراق، رغم وجوده للمعالجة في سويسرا، وبسبب التحاق الآشوريين في العام 1921/1920 بقوات الليفي، التي شكلها البريطانيون في العراق في العام 1915، وكان أغلبهم في البداية من العرب، ومن ثم من الكرد وغيرهم. وغالباً ما يجري الحديث عن الآشوريين في قوات الليفي بهدف الإساءة لهم، في حين إن أول مجموعة من الليفي كان أفرادها من اليهود، وكذلك مجموعة من العرب، ومن ثم الكرد.[28] المشكلة الكبيرة التي عانى منها المسيحيون ناتجة عن موقف أيديولوجي قومي شوفيني وديني متخلف إزاء أتباع الأديان الأخرى ورفض الآخر من قبل الحكام المسلمين. وكان هذا السلوك المناهض لأتباع الدين المسيحي يُنقل إلى أوساط الشعب أيضاً مقروناً بالتحريض ضدهم، مما كان يعرضهم إلى التهميش، ومنه قلة التعيينات في المواقع المهمة من أجهزة الدولة والسلك الدبلوماسي والمدارس العسكرية على سبيل المثال لا الحصر، أو ما يقرر عن الدين المسيحي وبقية الديانات الأخرى غير الإسلام في المناهج والكتب المدرسية...

في أثناء وبعد فشل محاولة انقلاب شباط عام 1959 بالموصل التي قام بها العقيد عبد الوهاب الشواف، ومعه القوى القومية الناصرية والبعثية والإخوان المسلمون والرجعيون، تعرض المسيحيون إلى الملاحقة والاضطهاد والقتل والتهجير، حيث أجبر الآلاف منهم على ترك الموصل والهجرة إلى بغداد أو البصرة أو نحو الخارج بذريعة تأييدهم لعبد الكريم قاسم والحزب

[28] راجع: أبرم شيبرا، قوات الليفي العراقية في الوثائق البريطانية العسكرية، موقع عنكاوة، 2010/10/18.

الشيوعي العراقي. وبعد انقلاب شباط عام 1963 تعرض المسيحيون إلى الاضطهاد ثانية، للأسباب السابقة، مما أدى إلى هجرة جديدة لهم إلى الولايات المتحدة وكندا وأوروبا واستراليا. ثم نفذ البعثيون مجزرة جديدة ضد السكان المسيحيين الكلدان في قرية صوريا والتي استشهد فيها عدد كبير من المسيحيين والمسيحيات على أيدي نظام البعث في العام 1969. فقد جاء في مقال عن هذه المجزرة في موقع Nala4U.com ما يلي: "في السادس عشر من ايلول من كل عام تستذكر الأمة الآشورية مذبحة صوريا. ففي مثل هذا اليوم قبل أكثر من سبعة واربعين سنة وجهت فوهات البنادق والرشاشات إلى ابناء أمتنا من أهل صوريا نساءً ورجالاً، كباراً وصغاراً ولم ينجُ منها حتى كاهن القرية ومختارها فذبح وقتل أبرياء لا ذنب لهم سوى كونهم اناسا فقراء آمنين يعيشون في قريتهم الوادعة لم يؤذوا أحداً ولم يكونوا ضد أحد." ويشير الكاتب إلى أن السبب في ارتكاب هذه المجزرة البشعة التي كان فيها مسلمون أيضاً إلى جانب أكثرية مسيحية، هو "انفجار لغم أرضي تحت إحدى العجلات العسكرية للقافلة ولم يتسبب بأية أضرار بشرية. وكانت القافلة بقيادة "الملازم عبد الكريم خليل الجحيشي المعروف بوحشيته وسلوكه العدواني تجاه القرويين من أهالي القرى الواقعة تحت رحمة أو إدارة هذا الفوج العسكري."[29]

وإذا كان التمييز والتهميش والإقصاء قد تعرض له المسيحيون في فترة حكم البعث في الثمانينات والتسعينيات والتي فرضت عليهم هجرة واسعة حقاً، ولاسيما في فترة الحروب العديدة التي خاضها النظام العدواني والتوسعي العراقي في الداخل والخارج، فأن أكبر اضطهاد وقمع وتهجير قسري تعرض له المسيحيون والمسيحيات برز في فترة الحكم الطائفي، الذي أقيم في العراق في العام 2004/2003، أي بعد إسقاط دكتاتورية البعث وصدام حسين الغاشمة، حيث لوحق المسيحيون والمسيحيات في الوسط والجنوب وبغداد والموصل من قبل المليشيات الطائفية المسلحة من جهة، وسكوت مطبق، وتأييد فعلي من الأحزاب الإسلامية السياسية، التي كانت تمتلك تلك الميليشيات الطائفية المسلحة من جهة أخرى، إضافة إلى قوى القاعدة حينذاك، كما تعرضت أغلب كنائسهم إلى التفجير وإشعال الحرائق فيها وقتل الكثير من المصلين أثناء تأديتهم الصلاة، مما أَجبر الآلاف منهم على الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا وكندا وأوروبا والأردن. ثم كان الهروب الواسع نتيجة إرهاب وقمع الدواعش الذين اجتاحوا الموصل ومن ثم بقية مناطق سهل نينوى منذ منتصف عام 2014 وحتى تحرير الموصل ونينوى عموماً في نهاية العام 2017. وقد نزح من الموصل قسراً جميع المسيحيين وتوجهوا إلى دهوك

---

29 مجزرة صوريا، موقع Nala4U.com، 17 أيلول/سبتمبر 2016.

وعينكاوة وأربيل بإقليم كردستان العراق، وإلى مناطق أخرى من العراق هرباً من قتل الدواعش، ومن محاولة فرض الإسلام عليهم عنوة، إضافة إلى سلب ونهب كل ما يملكون من أموال منقولة وغير منقولة.

لم يكن اجتياح الموصل عملية معقدة، إذ كان الفساد، ولاسيما في صفوف القوات المسلحة والشرطة وأجهزة الإدارة المحلية، والإرهاب، قد عمَّ الموصل وبعض مناطق سهل نينوى على أيدي الداعشيين والقوى المتطرفة في المدينة والمحافظة من جهة، وانسحاب القوات المسلحة العراقية بقرار من أعلى سلطة في القوات المسلحة العراقية، من رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة، قد جعل مدينة الموصل ومن ثم محافظة نينوى، تسقط خلال ساعات ودون مقاومة في أيدي الداعشيين القتلة. بيد أن هؤلاء الأوباش الذين مارسوا عمليات إبادة جماعية وتطهير عرقي وديني وسبي واغتصاب وبيع النساء الإيزيديات بسوق النخاسة الإسلامي، شملت أتباع جميع الأديان والمذاهب، ولاسيما الإيزيديين والمسيحيين والشبك والتركمان بالموصل وعموم محافظة نينوى، كما أنهم مارسوا الاضطهاد والقسوة والعدوانية في التعامل مع المواطنين والمواطنات السنة ممن رفضوا الاستجابة لفكرهم المتطرف والعدواني أو لم يتناغم مع سياساتهم.

من المشكلات الكبيرة الأخرى التي تعاني منها العائلات المسيحية من مختلف الطوائف تبرز في إدراج بلدات ومناطق مسيحية ، خاصة في سهل نينوى ضمن المناطق المتنازع عليها بين حكومة بغداد وحكومة الإقليم (والتي أشير إليها بالمادة 140 في الدستور العراقي).. مما جعلها منطقة تنافس وصراع.. وعقد الصفقات المعلنة والمستورة..، ولا شك في أن ضحيتها دائما كانوا وما زالوا هم أهالي هذه المناطق، والمناطق كلها مازالت منكوبة. وقد ترك هذا الصراع، ومازال، تداعيات خطيرة جدا على وجود هذا المكون الأصيل. وكما في جميع الشعوب والقوميات قوى قومية متطرفة، فأن المعلومات المتوفرة تشير إلى معاناة المسيحيين من تطرف قوى قومية كردية ايضاً بإقليم كردستان العراق، إذ لا يقل خطورة في بعض مراحله وممارساته عن التشدد الديني.. والامثلة كثيرة عن التداعيات الخطيرة على هذا المكون، لاسيما على أولئك الذين تقع جغرافيتهم ضمن جغرافية الإقليم. وقد كتب لي أحد المثقفين المسيحيين البارزين حول أوضاع المسيحيين ومعاناتهم يقول:

" كما أن هناك سبباً آخر في هذا الصدد يتمثل في جعل الكنيسة ورجال الدين المرجعية الفعلية للمكون المسيحي، خاصة في الاقليم، وعادة هذه الطبقة الدينية، التي لا تمتلك خبرة سياسية وإدارية ولا دراية بالحاجات الحقيقية للمكون المسيحي، لأن هذه الامور هي خارج خبرتها

وتخصصها، وهي في معظم الاحيان تراعي مصالحها الكنسية الخاصة وتحابي السلطة وتخضع لرغباتها. بعيدا عن مصالح المكون المسيحي، مما يؤدي الى تهميش الإرادة الحقيقية لهذا المكون."[30]

وتشير المعلومات المتوفرة إلى المعاناة الكبيرة للعالات المسيحية خلال الفترة التي أعقبت سقوط الدكتاتورية وفي ظل الدولة الطائفية الهشة التي أقامها التحالف التساومي بين الولايات المتحدة وإيران. فالمعلومات التي وفرتها الجمعية العراقية لحقوق الإنسان في الولايات المتحدة الأمريكية تشير إلى استشهاد "عدد كبيرٍ من الشعب المسيحي بلغ 2220 شخصاً بين عام 2003 ولغاية شهر آذار من عام 2018". أما عدد الكنائس والمزارات والأديرة التي جرى الاعتداء عليها في العراق فقد بلغ 167 كنيسة بين عامي 2003 –2018. منها 35 كنيسة دُمرت على أيدي الداعشيين المجرمين بين سنة 2014 – 2017.[31]

وخلال الفترات العصيبة من تاريخ العراق الحديث برز نزوح السكان المسيحيين من مناطق سكناهم أو اضطرارهم للهجرة إلى خارج العراق على وفق ما ورد في الجداول الإحصائية الرسمية. ويمكن للجدول التالي ان يوضح ذلك.

جدول رقم (4)

جدول يشير إلى أعداد ونسب السكان المسيحيين في إجمالي سكان العراق

السنة	إجمالي سكان العراق/نسمة	عدد السكان المسيحيين	نسبة المسيحيين %
1890	1.830.000	39.850	2،2
1914	2.200.000	32.493	1،5
1920	2849.282	79.779	2،8
1927	2.968.000	148.400	5،0
1934	3.293.740	164.687	5.0
1947	4.564.000	149.656	3،28
1957	6.206.017	204.226	3،3
1965	8.067.230	250.084	3،1
1977	12.129.497	606.474	5.0
1987	18.644.000	932.200	5،0
1997	22.046.000	734.131	3،3
2003	24.683.313	814.549	3،3
2005	28.000.000	560.000	2،0
2006	29.041.753	580.835	2،0
2007	29.682.000	593.640	2،0
2008	30.680.190	613.603	2،0
2013	34.000.000	450.000	1،3

[30] المصدر: موجود في أرشيف الكاتب.

[31] المصدر السابق نفسه.

2016	36،000.000	350.000	0،97
2018/2017	37.139.519	300.000	0،8

قارن: كاظم حبيب، مسيحيو العراق.. أصالة.. انتماء، مواطنة، دار نينوى للطباعة والنشر، دمشق 2018.

أنظر أيضاً: هرمز النوفلي، الإحصائيات الرسمية للسكان وعدد المسيحيين في العراق عبر التاريخ، في الثلاثين من أيلول 2009. بلا ذكر الموقع.

والجدول يكشف بوضوح أن العراق فقد، خلال الفترة الواقعة بين 2003 – 2018، عدداً كبيراً من سكانه العراقيين المسيحيين والمسيحيات ومن مختلف طوائفهم الدينية، إذ بلغ 514000 نسمة، وهو أمر بالغ الخطورة على وجود ومستقبل مسيحيي ومسيحيات العراق. ويشعر المتتبع بأن هذا الواقع المزري لم يحرك الحكومة العراقية ولا مجلس النواب، بل استقبلوا كل ذلك بدم بارد وارتياح كبير، حيث يشكل الإسلاميون السياسيون الطائفيون من شيعة وسنة الأكثرية الكبرى فيهما، ولم يتخذوا أية إجراءات فعلية لمواجهة هذا النزوح الكارثي، وكأن ما حصل هو بالضبط ما كانت تسعى إليه فعلاً وتبتغي وقوعه، إذ لم تبدأ عمليات ملاحقة المسيحيين وتشريدهم على أيدي داعش أولاً، بل بدأت قبل ذاك على أيدي المليشيات الطائفية المسلحة الشيعية أساساً، ومن ثم السنية، ولاسيما تنظيم القاعدة ومن ثم داعش ومن لّف لفّهما.

وقد جرت عمليات قتل لعدد غير قليل من رجال الدين المسيحيين نشير لهم فيما يلي:

"– الشهيد المطران بولص فرج رحو – رئيس اساقفة الكنيسة الكلدانية في محافظة نينوى خطف بتاريخ 29 \ شباط – وقتل في الموصل بتاريخ 13\ آذار \2008

–الشهيد القس يوسف عادل عبودي – راعي الكنيسة السريانية في بغداد – اغتيل بمسدس كاتم صوت امام عائلته – بتاريخ 5 \ نيسان \ 2008

–الشهيد الاب بولص اسكندر بهنام – من كنيسة السريان الارثوذكس – خطف ثم قتل وقطع الى اربع قطع – في الموصل بتاريخ 12 \ 10 \ 2006

–الشهيد الاب منذر السقا – من الكنيسة البروتستانتية – خطف ثم قتل في الموصل – بتاريخ 11 \ 11 \ 2006

–الشهيد القس رغيد عزيز متي كني – راعي كنيسة روح القدس الكلدانية في الموصل – بتاريخ 3 \ حزيران \ 2007 – قتل مع ثلاثة من الشمامسة .. وهم:

الشهيد الشماس وحيد حنا ايشوع

الشهيد الشماس بسمان يوسف داود

الشهيد الشماس غسان عصام بيداويد

الشهيد سمير عبد الاحد – استشهد في مدينة الموصل اثر عملية اختطاف سيادة المطران

بولص فرج رحو – بتاريخ 29 \ شباط \ 2008

الشهيد فارس جرجيس خضر – في نفس التاريخ

الشهيد رامي حكمت بولص – في نفس التاريخ

الشهيد الاب متي يوسف ونجله فادي – استشهد اثر حادث انفجار – في مدينة الموصل – بتاريخ 2 \ 12 \ 2008.

الشهيد الشماس الشاب عبد الخالق باكوس موسى– استشهد بتاريخ 7 \ 2 \ 2007". (راجع: كاظم حبيب، مسيحيو العراق، أصالة.. انتماء.. مواطنة.. دار نينوى، دمشق، 2018."، إضافة إلى استشهاد أكثر من 65 امرأة بأعمار مختلفة خلال ذات الفترة. (المصدر السابق نفسه).

الفصل الثالث

العراقيون الأرمن

على الدولة التركية الحالية أن تعترف بالإبادة الجماعية التي نفذتها الإمبراطورية العثمانية في العام 1915 ضد الأرمن، التي كلفت هذا الشعب عدداً يتراوح بين مليون ومليون ونصف إنسان من الرجال والنساء والأطفال الأرمن. إنها ذكرى حزينة ومؤلمة. إن عدم الاعتراف بها من جانب الحكومات التركية المعاقبة وعدم إدانتها يسهم في ممارسة الحكومة التركية الحالية ودكتاتورها الجديد نفس النهج الدموي ضد الشعب الكردي في كردستان تركيا. التعازي إلى أحبتنا الأرمن في العراق والمواساة لما اصابهم في ظل النظام الطائفي المحاصصي المستبد في العراق... ك.ح

يمتلك الأرمن تاريخاً طويلاً في العراق، حيث يشار إلى وجودهم منذ العهد البابلي، وكذلك في العهود الأموية والعباسية والعثمانية اللاحقة. وساهموا مع بقية بنات وأبناء بلاد الرافدين في بناء وتطوير الحضارة الرافدينية. وفي العهد العثماني في العراق كان الأرمن من الأوائل الذين أدخَلوا المدارس التعليمية الحديثة إلى العراق. تبعهم العراقيون اليهود، ومن ثم الطوائف المسيحية الأخرى. وقد سبقوا مدحت باشا في إقامته مدارس في العراق منذ توليه ولاية بغداد عام 1869 وأنشأ أول مدرسة صناعية فيها عام 1871، كما أقيمت في عام 1896م أول مدرسة ابتدائية للبنات.[32] وكان الحكم العثماني قد أقَّر حق كل طائفة من الطوائف الدينية بإقامة مدارسها الخاصة.

[32] أنظر: طه العاني، نشأة المدارس في العراق، مصدر سابق.

يشير البحث الموسع عن "نشأة المدارس في العراق" للأستاذ طه العاني إلى الدور الطليعي للأرمن في فتح المدارس الحديثة في العراق، إذ كتب ما يلي: " تعد مدرسة الأرمن للذكور في بغداد من أقدم هذه المدارس، إذ يرقى تاريخ تأسيسها إلى سنة 1270 هـ/ 1853م. وفي السنة نفسها تم افتتاح مدرسة الأرمن الأرثوذكس (للبنات). تلاها افتتاح مدرسة الاتفاق الشرقي الكاثوليكي سنة 1296هـ/ 1878 م حيث افتتحتها الطوائف الكاثوليكية الثلاث، إلا أن الدراسة في هذه المدرسة واجهت صعوبات عديدة أدت إلى اغلاقها سنة1311 هـ/ 1893، حيث بادرت كل طائفة من الطوائف المسيحية الثلاث بافتتاح مدرسة خاصة بها."[33]. أما الطائفة اليهودية فقد فتحت أول مدرسة لها في العراق في العام 1864، كما يشير إلى ذلك الكاتب أميل كوهين إذ كتب: في10 كانون الأول سنة 1864 افتتحت مدرسة الأليانس الأولى في بغداد وقررت أن يكون منهجها علمانيا فقط بعيدا عن التعليم الديني وشغلت مبنى صغيراً في محلة تحت التكية وكانت أول مدرسة أليانس في المشرق العربي.."[34]

وكان للطائفة الأرمنية العديد من الكنائس، إذ تشير المعطيات المتوفرة إلى ان الأرمن بنوا عدداً من الكنائس في كل من بغداد والبصرة والموصل. فقد وجدت ببغداد أربع كنائس هي: كنيسة القديس گريگور المنور قرب ساحة يونس السبعاوي– الطيران سابقا، وهي الكنيسة الأم ومقر المطرانيه، وكنيسة مريم العذراء في منطقة الميدان، وكنيسة القديس گرابيت ضمن مجمع دار العجزة في منطقة الرياض (كمپ ساره)، وكنيسة القديسين الشهداء ضمن حدود مقبرة الأرمن الجديدة في حي خان بني سعد. وكانت هناك كنيسة الثالوث المقدس التي شيدت عام 1857م في منطقة الشورجة، وظلت قائمة لفترة مائة عام، ولكنها توقفت عن خدمة المؤمنين عام 1957م، وتم بناء بناية سوق الأرمن التجاري في الشورجة مقابل البنك المركزي على قطعة ارض تابعة للكنيسة.[35] ويشير السيد هامبرسوم أغباشيان إلى إن الأرمن بنوا ثلاث كنائس لهم بالبصرة، ولكن، وعبر العقود المنصرمة، لم يبق منها سوى كنيسة واحدة بنيت في عام 1736، وأعيد إعمارها في أعوام 1905 – 1909، ثم رممت مرة أخرى في عام 1931. أما بالموصل فقد بنيت كنيسة أجميازين المقدسة عام 1857 واستمرت قائمة حتى العام 1968، إذ أقيمت

---

[33]أنظر: طه العاني، نشأة المدارس في العراق/ شبكة زدني للتعليم، 8 شباط/فبراير 2015.

[34] أنظر: أميل كوهين، مدارس الأليانس اليهودية في العراق، مؤسسة الحوار الإنساني، لندن، في 7 شباط/فبراير 2017.

[35]أنظر: هامبرسوم أغباشيان. تاريخ الأرمن في العراق، مصدر سابق.

أنظر أيضاً: الكنائس الأرمنية في العراق، موقع أزتاك العربي للشؤون الأرمنية، 5 شباط/فبراير 2013.

أنظر أيضاً: بدر الرحال، الأرمن تاريخ عريق في العراق، موقع ستار تايمز، 2009/01/29

على أنقاضها كنيسة جديدة وبالاسم نفسه. ثم بنيت كنيسة أخرى في أحد احياء الموصل، ولكن نهبت وسرق ما فيها بما في ذلك المرمر، حتى قبل تدشينها، في أعقاب حرب الخليج الثالثة عام 2003، وفي أجواء الفوضى التي سادت البلاد برغبة صارخة من جانب الولايات المتحدة مباشرة بذريعة "ليتنفس الشعب نسيم الحرية!". وبنيت في عام 1932 أول كنيسة للأرمن بمدينة كركوك النفطية[36] وكنيسة جديده عام 2016، وهناك كنائس للأرمن في زاخو ودهوك وقرية افزروك في شمال العراق ويتم حاليا بناء كنيسة في اربيل.

وأثناء الحرب العالمية الأولى تعرض الأرمن في الإمبراطورية العثمانية إلى حرب إبادة من جانب السلطات العثمانية أدت، على وفق التقارير الصادرة عن الكثير من مراكز ومعاهد البحث العلمي والمؤرخين، إلى استشهاد عدد يتراوح بين 1000000 – 1500000 أرمني من "رعايا" الإمبراطورية العثمانية. [37] أما الكتاب الأزرق الذي أصدرته الحكومة البريطانية في العام 1916، والذي كتب مقدمته المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي فيشير إلى إن عدد القتلى بلغ حتى ذلك الحين 600000 أرمني.[38] وتقدر الحكومة التركية إلى إن عدد القتلى يتراوح بين 300000–500000 أرمني، ورغم ذلك فهي لا تعترف بأن ما حصل على الأراضي التركية، وفي مناطق سكن الأرمن الأصلية، باعتبارهم من اصل سكنة هذه الأرض، كان إبادة جماعية!! وبالتالي فأن الحكومات التركية المتعاقبة تلجأ إلى مقاطعة تلك الدول دبلوماسياً، إذا ما اعترفت بأن ما ارتكبته الإمبراطورية العثمانية ضد الأرمن كان إبادة جماعية.[39]

---

[36] أنظر: هامبرسوم أغباشيان. تاريخ الأرمن في العراق، مصدر سابق.

[37] أنظر: أرشاك بودليان، "شهادات غربية عن الإبادة الأرمنية في الإمبراطورية العثمانية"، دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، سانا، دمشق 2016.

[38] أنظر: مجدي خليل، القضية الأرمنية بعد مائة عام من الإبادة، الموقع الإلكتروني للتنظيم الأرامي الديمقراطي"، 2017/1/1.

[39] وجدير بالإشارة الى ان الدول التالية تعترف بالتطهير العرقي "الإبادة الجماعية" ضد الشعب الأرمني حتى الآن وهي: اوروغواي(1965) ، قبرص(1982) ، روسيا(1995) ، يونان(1996) ، بلجيكا(1998) ، ايطاليا(2000) ، الفاتيكان (2000)، لبنان(2000) ، فرنسا(2001) ، سويسرا(2003) ، كندا(2004) ، سلوفاكيا(2004) ، هولندا(2004) ، ليتفانيا (2005)، فنزويلا (2005) ، شيلي(2007) ، الارجنتين(2007) ، السويد(2010) ، وليفيا(2014) ، النمسا(2015) ، المانيا(2015) .

كما إنه ماعدا المجالس النيابية لهذه الدول، فقد اعترف البرلمان الاوروبي ايضا عام 1987 بالإبادة الجماعية ضد الشعب الأرمني. ** أنظر: موقع روواو، دول اعترفت بالإبادة الجماعية ضد الأمن. 2017/1/1. ** كذلك تعترف بها 43 ولاية أمريكية، وأقاليم مثل إقليمي الباسك وكتالونيا في إسبانيا، إقليم القرم المنضم حديثاً إلى روسيا، نيوساوث ويلز وجنوب أستراليا في أستراليا، وكيبيك في كندا. أيضاً، تعترف بها الأمم المتحدة، البرلمان الأوروبي، ومجلس أوروبا. أنظر: موقع رصيف 22، عشر حقائق حول الإبادة الجماعية. مصدر سابق.

لقد حقق الحكام العثمانيون ليس مجزرة بشرية ضد الأرمن فحسب، بل إرتكبوا عملية "تطهير عنصرية" ضدهم. فإن من تبقى منهم على قيد الحياة هرب باتجاه سوريا والعراق طالباً النجاة بنفسه. كتب الدكتور سيّار الجميل يقول: "لقد دفع الأرمن العراقيون أسوة بغيرهم من العراقيين النجباء، أثمان باهظة من حياتهم ودمائهم وتشرّدهم على امتداد تاريخ طويل من وجودهم. ولعل مأساتهم التاريخية تشكّل خصوصيتهم التراجيدية ليس في العراق وحده، بل امتدت مع وجودهم عبر التاريخ.. وكان تشرّهم التاريخي ديسابورا حقيقية عند مفصل القرنين التاسع عشر والعشرين. قاد موجات كبرى منهم إلى الفناء حتى وصلت بقاياهم نحو الجنوب، ليستقر من بقي منهم على قيد الحياة في العراق، إذ رحب بهم العراقيون ترحيبا خاصا، وشاركوهم عواطفهم ومآسيهم، فوجد الأرمن في العراق أهالي لهم، وملاذا مطمئنا، ووطنا خصبا بديلا، وبلدا آمنا، ومجتمعا راقيا حماهم من كل غوائل التمزق والضياع..".[40]

وقبل أن يستقبل العراق جمهرة ممن تبقى من الهاربين الأرمن من جحيم الإبادة الجماعية، كان هناك مواطنون ومواطنات أرمن، وهم من أحفاد الأرمن الذين وصلوا العراق منذ مئات السنين وفي فترات مختلفة، بما في ذلك الفترة العباسية في حكم العراق، الذين شكلوا جزءاً عضوياً مهماً من الشعب العراقي وعاشوا بسلام وعلاقات طيبة وإنسانية مع بقية السكان من مختلف القوميات والديانات والمذاهب. وقد ساهم العراقيون الأرمن باستقبال الأرمن الهاربين من الدولة العثمانية وسعوا للعناية بهم. وقد توزعت المجموعة على أربع مدن أساسية هي بغداد والموصل والبصرة وكركوك، إضافة إلى وجود عائلات قليلة في مدن أخرى مثل أربيل وكرمنليس، أو مدن أخرى في وسط العراق. وكان الأرمن في بدايات وجودهم في العراق "مقسمين بالنسبة الى تبعيتهم للسلطات الكنسية، فقد كان أرمن البصرة يتبعون مطرانية (أبرشية) اصفهان، أما أرمن بغداد فكانوا يتبعون الكرسي الرسولي في أيجميازين في أرمينيا.[41] ثم اصبحت الكنيسة الرسولية الارمنية – الارثودوكسية في العراق بعد فترة تابعة بجميع كنائسها الى الكرسي الرسولي في أيجميازين من ناحية الامور الدينية والطقوس والشعائر وغيرها الى يومنا هذا. وتشير السفارة الأرمنية إلى إنه و"نتيجة للإبادة الجماعية التي تعرض لها الشعب الأرمني عام 1915، فقد هاجر عشرات الألوف من الأرمن الى العراق. في عشرينيات القرن الماضي سكن العراق، وبالتحديد حوالي 90 ألف أرمني، بعد فترة من الزمن "عاد قسم منهم الى أرمينيا، بينما هاجر

---

40 سيّار الجميل، بروفيسور دكتور، الأرمن العراقيون: الخصوصيّة والجاذبيّة والأسرار الحيويّة، الحلقة الثالثة: دياسبورا وطن بلا بديل!، طيف اجتماعي عراقي حيوي، الموقع الإلكتروني للدكتور سيار الجميل، في 2010/10/31.

41أنظر: موقع سفارة جمهورية أرمينيا في، معلومات عامة عن الجالية، بتاريخ 2017/1/1.

القسم الاخر الى اماكن اخرى"[42]. وعلى وفق المعلومات المتوفرة عن مخيم اللاجئين الآشوريين والأرمن بالقرب من مدينة بعقوبة في شهر نيسان/أبريل من عام 1918 فقد بلغ عدد الأرمن 41583 نسمة من النساء والرجال والأطفال، وتقلص العدد في المخيم في أيلول من نفس العام إلى 39191،[43] أي قبل تشكيل الدولة العراقية الملكية. وتشير سفارة الجمهورية الأرمنية ببغداد إلى أن عدد نفوس الأرمن في العراق بلغ في العام 2003 وقبل إسقاط الدكتاتورية عبر حرب الخليج الثالثة 25 ألف نسمة.[44] وهذا يعني بأن هجرة الأرمن من العراق حصلت في فترات مختلفة، وبشكل خاص في فترة حكم البعث، ولكن ليست هناك إحصائيات عن عدد الأرمن الذين تركوا العراق وهاجروا إلى أرمينيا أو إلى أوروبا وأمريكا الشمالية بين تشكيل الدولة العراقية في عام 1921 وسقوط الدكتاتورية البعثية في عام 2003.

عاش العراقيون الأرمن ضمن المجتمع العراقي كجزء منه له خصوصيته، واندمجوا فيه وأصبحوا جزءاً من نسيجه الوطني الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي والرياضي. عاشوا كمجموعة قومية أرمنية وكمجموعة دينية مسيحية محترمة. ساهموا في الحياة العامة كباقي العراقيات والعراقيين، وزج منهم في السجون العراقية بسبب انتمائهم للأحزاب السياسية، ولاسيما للحزب الشيوعي العراقي، وبسبب مواقفهم الوطنية دفاعاً عن استقلال وسيادة العراق وضد الرجعية ومصادرة الحريات الديمقراطية والحقوق الأساسية للمواطن والمواطنة في العراق، سواء أكان ذلك في العهد الملكي أم في العهود الجمهورية اللاحقة في أعقاب سقوط الجمهورية الأولى عام 1963. إلا إن أبشع ما أصابهم جاء في أعقاب إسقاط الدكتاتورية البعثية الغاشمة، بعد احتلال العراق وإقامة النظام السياسي الطائفي فيه عام 2003.

لقد تعرضت كنائس الأرمن في كل من مدينتي بغداد والموصل إلى التدمير، وإلى اختطاف القساوسة الذين لم يتم العثور عليهم حتى الآن. وفي ظل هذه الأجواء المشحونة بالعداء لأتباع الديانات الأخرى والفوضى والإرهاب التي سادت العراق، أجبر أكثر من 3000 مواطنة ومواطن من الأرمن على مغادرة العراق باتجاه أرمينيا أو الغرب أو الأردن. وفي العام 2007 تم قتل سيدتين أرمنيتين على أيدي قوات أمن استرالية في منطقة المسبح ببغداد، إضافة لمن قتل على أيدي المليشيات الطائفية المسلحة والدواعش وعصابات الجريمة المنظمة، إذ بلغ عدد قتلى الأرمن 45 شخصاً، إضافة إلى اختطاف 32 شخصاً أخر منهم بين عامي 2003 – 2007. جاء في مقال الدكتور سيار الجميل السابق الذكر بهذا الصدد ما يلي:

---

42 المصدر السابق نفسه. وإيجميازين مدينة في جمهورية أرمينيا.

43جي. كلبرت براون، قوات الليفي العراقية 1915–1932، مصدر سابق، ص 287.

44المصدر السابق نفسه.

"كانت هناك 225 عائلة ارمنية تسكن الموصل قبل 2003، أما بعد 2003، فلم يبق إلا حوالي 10 عوائل فقط قبل ثلاثة أعوام. ولقد حصلت على معلومات خاصة من أعلى المصادر الارمنية في العراق تقول بأن إحصائية عن الأرمن الموجودين حاليا فعليا في الموصل هم 45 عائلة فقط وكل عائلة تتكون من 2 شخص في البيت... أما الباقون، فقد آثروا الهجرة إلى خارج العراق والقسم الآخر أصبح مشتت بين القرى المسيحية في سهل نينوى... هذه الإحصائية من رئيس طائفة الأرمن... وبخصوص الحلة!!! هناك لدى الأرمن أراضي خاصة لهم من قديم الزمان وقبل الهجرة، اذ سكنوا في تلك المناطق آنذاك واليوم أصبحت للوقف لان كل اهلها وناسها سافروا إلى خارج العراق وبقيت الأراضي وقف. ويقول الارشمندريت ناريغ اشكانيان (63 عاما) بينما كان أحد الكهنة يسجل آخر الولادات والوفيات في صفوف الطائفة، "نحن هنا لنبقى فهذه أرضنا أيضا، رغم ما نواجهه من مصاعب في بعض الأحيان". ويبلغ عدد أفراد الطائفة حاليا نحو 12 ألفا بينهم سبعة إلى ثمانية آلاف في بغداد، فيما يبلغ عدد السكان في العراق 29 مليون نسمة."[45]

[45] سيّار الجميل، بروفيسور دكتور، الأرمن العراقيون: الخصوصيّة والجاذبيّة والأسرار الحيويّة، الحلقة الثالثة، مصدر سابق.

الفصل الرابع

العراقيون الإيزيديون (دسنايا)

إلى أحبتنا وأخوتنا الإيزيديين والإيزيديات، إلى مواطناتنا ومواطنينا، إليكم يا من عانيتم من ظلم وعدوان وحقد وكراهية جمهرة كبيرة من الحكام المسلمين وجلاوزتهم في كل من العراق وتركيا وإيران، يا من تحملتم الكوارث وحملات الإبادة الجماعية في ظل الدولة العثمانية والدولة العراقية، يا من صبرتم على الضيم والبلوى وقاومتم الاستبداد والاضطهاد والتمييز الديني، ويا من برهنتم أنكم أبناء هذا العراق وبناة حضارته القديمة والحديثة، إليكم يا من تحملتم قسوة الإرهابيين التكفيريين من الدواعش وغيرهم وممن يحاول فرض دينه عليكم ومن الحكام الذين لا يستحون ولم يقدموا حتى الآن الاعتذار لكم، رغم المطالبة، لما مارسته دولهم وحكوماتهم السابقة والراهنة بحقكم، اليكم في عيدكم النيساني، رغم كل الكوارث والمحن، هذه الورقة المتواضعة لتعبر عن التضامن الإنساني لما تحملتموه من مصائب وكوارث ومحن وإبادة جماعية، من دماء ودموع، إليكم تحية وألف تحية وأطيب التمنيات، والعمل من أجل عراق آخر غير العراق الطائفي المحاصصي الفاسد والإرهابي والمريض الراهن، في سبيل عراق ديمقراطي علماني حديث!!! **ك.ح**

عدد النازحين من مناطق الإيزيديين

عدد النازحين	عدد القتلى	عدد المختطفات	عدد المفقودين	عدد الجرحى
430ألف	4541	5422	841	890

المصدر: كاظم حبيب، الإيزيدية ديانة عراقية شرق أوسطية قديمة، دار نينوى، دمشق 2017.

المزارات وأماكن عبادة الإيزيديين التي تم الاعتداء عليها وتدميرها من تنظيم داعش

1	شقسىَ باتىَ	مجمع بابيرة	2014/8/13
2	شيَخ بابك	مجمع بابيرة	2014/8/13
3	شيَخ مخفي	مجمع بابيرة	2014/8/13
4	ملك شيَخ سن	مجمع بابيرة	2014/8/13
5	ست حبيبة	بعشيقة وبحزانى	2014/8/16
6	ست خديجة	بعشيقة وبحزانى	2014/8/16
7	شيَخ حسن	بعشيقة وبحزانى	2014/8/3
8	شيَخو بكر	بعشيقة وبحزانى	2014/8/16
9	سجادين	بعشيقة وبحزانى	2014/8/16
10	شيَخ شمس	بعشيقة وبحزانى	2014/8/16
11	ملك ميران	بعشيقة وبحزانى	-
12	شيَخ بابك	بعشيقة وبحزانى	-
13	قبة ابو ريش	بعشيقة وبحزانى	-
14	شيَخ مندبال	سنجار	2014/8/24
15	ئيَزى	سنجار	2014/8/22
16	مزار ناسر دين	بعشيقة وبحزانى	2014/10/16
17	ئامادين	سنجار	2014/10/20
18	مزار الشيخ شرف الدين الشيخ عدي	سنجار	2014/10/20
19	مهمد رشان	سنجار	2014/10/27

المصدر: كاظم حبيب، الإيزيدية ديانة عراقية شرق أوسطية قديمة، دار نينوى، دمشق 2017.

ويشير الباحث صباح كنجي إلى عواقب داعش الإجرامية بحق الإيزيديين إلى ما يلي:

"وفي مرحلة داعش تم اجتياح منطقة سنجار كاملة المكونة من مركز القضاء واربعة نواحي و12 تجمعاً، بالإضافة الى مدينتي بحزاني وبعشيقة في سهل نينوى.. وكانت نسبة التدمير في مركز قضاء الشيخان تتجاوز 95% من مجموع ما فيها من بيوت ومنازل ومنشآت ودوائر حكومية، كما ارتكبت أبشع الفظاعات.. وتم فرض الدين الاسلامي على من وقع في الاسر من الاطفال والنساء، وجرى استعبادهم، والتشنيع بهم، باعتبارهم كفار، كذلك جرى قتل واعدام الكثير منهم.. وفي بحزاني وبعشيقة تم تدمير البنية التحتية والمشاريع الاقتصادية ونهب المعامل والمؤسسات، وحرق وتدمير بساتين الزيتون، إضافة الى وجود أسرى ومفقودين وقتلى ومسبيين من اهالي المدينتين.. وقد تسببت هذه الاوضاع في تفاقم الهجرة والتهجير.. حيث نشأت عدة مخيمات لهم في مناطق زاخو ودهوك وشاريا وباعذرة وايسيان، إضافة الى وجودهم وانتشارهم في المدن ابتداء من دهوك والعمادية وسرسنك واربيل والسليمانية..، مع اضطرار لجوء الاخرين الى سوريا وتركيا ومن ثم الهجرة إلى أوروبا.. ويقدر عدد المهاجرين الإيزيديين الى ألمانيا وبقية دول اللجوء بأكثر من 70 ألف مواطن ومواطنة لحد الآن منذ

اجتياح داعش لقضاء سنجار في2014/8/3.. كما جرى استقدام أكثر 1500 من طفلة وفتاة وامرأة اسيرة ومغتصبة الى المانيا للعلاج النفسي والطبي .. وعموماً يمكن القول ان الهجرة شملت لأول مرة شرائح اجتماعية جديدة شملت.. التجار والاغنياء الذين قرروا مغادرة العراق، وكذلك المهندسين والاطباء والمعلمين وحاملي الشهادات العالية في مختلف الاختصاصات العلمية ومن المثقفين..".[46]
وللاطلاع على تفاصيل الخسائر المادية التي لحقت بالإيزيديين ومدنهم ومؤسساتهم الاقتصادية والاجتماعية الدينية يمكن العودة إلى مقال مهم للباحث صباح كنجي نشر في موقع الحوار المتمدن بعنوان " تقديرات أولية لخسائر بحزاني وبعشيقة على يد الدواعش"، العدد 5178 بتاريخ 2016/35 في محور الإرهاب والحرب والسلام.

46 أنظر: صباح كنجي، عن الاحصاء والمعلومات عن الإيزيدية والاقليات منذ تشكيل الدولة العراقية.. أوائل نيسان 2018).

الفصل الخامس

العراقيون المندائيون

إلى أحبتنا، أخواتنا وأخوتنا المندائيين، مواطناتنا ومواطنينا في الوطن المستباح بالطائفية والفساد والإرهاب، إلى من عانوا من ظلم الحكام وجمهرة من شيوخ الدين المسلمين العرب وغير العرب أثناء الحكم العثماني والفارسي وقبلهما وبعدهما حتى الوقت الحاضر، إلى الشهداء الذين سقطوا لعقيدتهم الدينية أو لأفكارهم ومواقفهم السياسية الوطنية والديمقراطية، إلى من أُجبروا على ترك أرض وطنهم ومياههم، مياه دجلة والفرات، والمندي، إلى من يحنون دوماً للعودة إلى أرض الأجداد، إلى الأرض التي ساهموا بحراثتها وزراعتها والصناعة الفضية التي مهروا حرفتها وأبدعوا فيها، إلى أولئك الأبطال الذين رغم كل ذلك استمروا صامدين على أرض الوطن لأنهم ملحها ونور دنيانا، اليكم يا من أنتم بالوطن أو بالمهجر، هذه اللوحة المكثفة عن دوركم وواقعكم والمحن التي كابدتم منها والكوارث التي عشتم تحت وطأتها وعانيتم منها، يا من تمارسون دوركم في الخلاص من النظام السياسي الطائفي وقوى الفساد والإرهاب وتعملون من أجل بناء عراق ديمقراطي علماني لا تمييز فيه على أساس القومية أو الدين أو المذهب أو الفكر الإنساني الحر!!

ك.ح

يشكل المندائيون جزءاً أصيلاً من سكان وداي الرافدين، ميزوبوتاميا، منذ أن بزغت الحضارة السومرية على هذه الأرض الطيبة، وهم ما زالوا وسيبقون فيه، رغم الكوارث والمحن المستمرة التي تعرضوا لها عبر تاريخهم الطويل، ورغم التهجير القسري الذي لم يتوقف حتى الآن. وقد لعبوا وما زالوا يلعبون دوراً حيوياً ومهماً في الحياة الفكرية والروحية العراقية. وبهذا الصدد يشير الكاتب الفقيد عزيز سباهي إلى ما يلي: "لعب الصابئة، رغم كونهم طائفة دينية صغيرة، دوراً ملحوظاً في تطور الحياة الروحية والفكرية في بلاد ما بين النهرين خلال ظهور المسيحية

وانتشارها أو بعد ظهور الإسلام، ولاسيما بعد ازدهار الحضارة العربية–الإسلامية أيام العباسيين، ولمعت من بينهم شخصيات علمية أسهمت بقسط وافر في إعلاء شأن الحضارة العربية–الإسلامية. ولكنهم بعد تدهور هذه الحضارة، والغزو المغولي، والفتح العثماني من بعد، وتعرضهم إلى الاضطهاد في العهود المختلفة، انكمشوا على أنفسهم في القرى المنتشرة عند البطائح الممتدة من جنوب نهر الفرات حتى نهر كارون في جنوب غرب إيران، ..".[47]

يختلف الباحثون حول أصل الدين المندائي. إلا أن الكثير من الدراسات المقارنة المهمة لأبرز الباحثين الذين بحثوا في الدين المندائي تشير إلى أن هذا الدين رافديني الأصل، إذ أن هناك روابط أو وشائج قوية بين الدين المندائي والدين السومري العراقي القديم. وهنا يبدو لي بأن من المجدي حقاً أن نفكر بالاتجاهين التاليين، وهما:

أ. هل إن السومريين، كمجموعة بشرية، كانوا مجاورين للمندائيين، كمجموعة بشرية أخرى، في جنوب العراق، وبالتالي كانت المجموعتان متأثرتين بأصول دينية ذات جذر واحد مع تباين في تفاصيل الدين.

ب. أم إن المندائيين هم الاستمرار لما تبقي من السومريين، وبالتالي فأن دينهم ينطلق من جذر واحد، ولكنه، كأي دين آخر، عرف بعض التحولات والتغيرات عبر القرون اللاحقة، ولاسيما في مجال تعدد الآلهة في الدين السومري، في حين تسود وحدانية الحي العظيم في الدين المندائي، وتحول الآلهة المتعددة في الديانة السومرية إلى ملائكة (إثري) في الدين المندائي تخوض ذات الصراعات التي كانت تخوضها في الدين السومري أو البابلي بشكل عام، إضافة الى تميز الدين المندائي بالغنوصية (المعرفية).

في أغلب دراسات الباحثين تجري المقارنة بين الدينين ولا تنطلق من احتمال كونهم كمجموعة بشرية من أصل واحد. ولكن الباحث عزيز سباهي أثار في بحثه القيم تساؤلاً مشروعاً بهذا الصدد، حيث كتب ما يلي: "يثار هنا تساؤل مشروع. هل كان المندائيون قد تأثروا بشكل مباشر بأفكار الجماعات البابلية التي كانت تجاورهم، أو أن يكونوا هم ذاتهم من بقايا البابليين وطوروا معتقداتهم من خلال تفاعلهم مع الجماعات اليهودية والفارسية وغيرها التي كانت تعيش

---

47 أنظر: عزيز سباهي، أصول المندائية (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية، دار المدى للثقافة والنشر، منشورات المدى، دراسات 18، ط 1، دمشق –1996.

بجوارهم، أو أن يكونوا من الجماعات الآرامية التي تطورت أفكارها كثمرة للتفاعلات المختلفة، أو أن يكونوا جماعة صغيرة هاجرت إلى جنوب العرق من الغرب وهي تحمل فكراً غنّوصياً فطورته بتأثير الفكر البابلي والفارسي محولة إياه إلى تيار غنّوصي ذي مزايا شرقية خاصة؟"[48] ومع إنه لا يقطع بأي من هذه الاحتمالات، إلا إنه يميل، وأنا معه في ذلك، واستناداً إلى تراثهم الأدبي في مختلف المراحل إنهم من جنوب العراق.[49]

إن تتبع الكثير من الدراسات والكتب الصادرة عن باحثين مختصين بالشأن المندائي، ومنها، على سبيل المثال لا الحصر، كتاب هنري أوستن لايارد الموسوم "نينوى وما تبقى"[50]، وكتاب الباحثة المختصة الليدي دراور الموسوم "الصابئة المندائيون"، وكتابها الثاني الموسوم "أساطير وحكايات صابئية"[51]، وكتاب مارك ليدزبارسكي الموسوم "كتاب يوحنا عن المندائيين[52]، ثم كتاب عزيز سباهي الموسوم "أصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية"[60]، وكتاب خزعل الماجدي الموسوم "جذور الديانة المندائية"[53]، التي تعتبر دراسات جادة ومهمة أجرت مقارنة بين الدين السومري والدين المندائي، وهي تشير إلى التماثل الكبير في الجواهر الإلهية الثلاثة التي برزها الباحث خزعل الماجدي: جوهر الماء وجوهر النور وجوهر الظلام[54]، إضافة إلى التقارب الكبير في المندي، وتراتبية الكهنة، ومراسيم دفن الموتى والطقوس الدينية، ورمز الديانة الدرفش أو (الراية)، مع الأساس الفلسفي لهذا الدين وجوهره ومدى تأثير الغنّوصية العرفانية أو المعرفية عليه لاحقاً. إضافة إلى الأساطير والحكايات الشعبية. وتجدر هنا الإشارة إلى تركيز الباحث عزيز سباهي أولاً ومن ثم الباحث خزعل الماجدي على مسألة أساسية في الدينين هي التماثل الكبير في أسطورة الخلق أو الكون. كتب عزيز سباهي في كتابه القيم بهذا الصدد ما يلي:

---

48 **أنظر: المصدر السابق نفسه، ص 78/77.**

49 **أنظر: المصدر السابق نفسه، ص 78/77.**

50 **Henry Austin Layard, Ninevah and its Remains, John Murry, London1849.**

51 **أنظر: الليدي دارور، الصابئة المندائيون، ترجمة نعيم بدوي وغضبان الرومي، دار المدى للثقافة والنشر، ط 2، بغداد 2006.**
أنظر أيضاً: الليدي دراور، أساطير وحكايات شعبية، ترجمة نعيم بدوي وغضبان الرومي، دار هيفي، أربيل، ط 2، 2009.
أنظر: خزعل الماجدي، جذور الديانة المندائية مطبعة صفاء حسين الناصر، بغداد، 1997.

52 **Siehe: Mark Lidzbarski, Das Johannesbuch der Mandäer, Verlag von Alfred Töpelmann, Giesen 1915.**

53 **خزعل الماجدي، جذور الديانة المندائية، مطبعة صفاء حسين الناصر، ط 1، 1997. ص 1.**

54 **خزعل الماجدي، جذور الديانة المندائية، مطبعة صفاء حسين الناصر، ط 1، 1997. ص 10-22.**

"1. إن كلا الأسطورتين تقرّان بوجود عالمين من البداية.: عالم الظلام، العالم الأسفل، تسكنه كائنات معينة (تي آمت وأبسو) والوحوش الأخرى في البابلية (والروها وكاف وأور وكرون والوحوش الأخرى في المندائية من جهة، ... وعالم النور، عالم السماء، العالم العلوي من جهة أخرى. إن أهمية هذه المسألة تكمن في كون الأسطورة البابلية (ذات الأصل السومري) قد أشارت بوضوح تام إلى هذا التناقض منذ البداية. وبالتالي فهي أصل القول بعالمي الظلام والنور وليست المعتقدات الفارسية. إن الفرس هم الذين استقوا هذا المعتقد من بابل وطوروه من بعد إلى صراع بين أهريمان وأهورا مازدا، وبالتالي فأن المندائيين يأخذون معتقدهم في الظلام والنور من البابليين مباشرة وليس من خلال الفرس كما يذهب إلى ذلك بعض الباحثين..."[55]. وهنا ترد الملاحظة التالية: يقول عزيز سباهي إن المندائيين يأخذون معتقدهم من البابليين مباشرة وليس من الفرس، ولكن الوقائع التاريخية تشير وتؤكد إلى أن المندائيين هم بابليون أيضاً، أي أنهم جزء من الحضارة البابلية ومعتقداتها، وإن معتقداتهم هي جزء عضوي من معتقدات البابليين، مع الأخذ بالاعتبار تطورها والإضافات الي حصلت على الديانة المندائية.

"2. كلا الأسطورتين تقومان على أساس أن تمرداً ما يحدث في عالم الظلام ضد عالم النور، وأن عالم النور يعمد إلى قمعه فتتم بعدها عملية الخلق. وكلاهما يصف الاستعدادات التي يتخذها كلا الطرفين استعداداً للصدام.

3. كلاهما يختار شاباً لقمع التمرد ويمنح كل الوسائل الضرورية لاكتساب قوة جبارة يستطيع بها أن يحقق النصر على قوى عالم الظلام ...

4. وفي الأسطورتين يبدو الإنسان مزيجاً من عنصرين: أرضي، طين الأرض، وما ينشأ عنه من خلق وطباع وغرائز مستمدة من العالم الأسفل، عالم الشر، وسماي: مرة يبدو في صورة دم إلهي، وتارة في صورة نفس سماوية، وما يرتبط بها من عقل ومعرفة وحكمة."

وفي ضوء ذلك، هناك من الدلائل ما يؤكد أصلهم الرافديني البابلي العراقي، رغم وجود بعض الآراء التي ترى أن أصل وجودهم متوسطي شامي مصري، وبعضهم الآخر يرى كونه فارسي وهندي الديانة. إذ جاء في الكتاب الموسوم "جذور الديانة المندائية للكاتب الدكتور خزعل الماجدي بهذا الصدد ما يلي: إلا أننا نرى ان أصول الديانة الصابئية المندائية تمتد بجذورها راسخة في أرض العراق القديم، وتحديداً أرض سومر.. حيث نرى ان الدين الصابئي المندائي هو

[55] أنظر: عزيز سباهي، أصول الصابئة، مصدر سابق، 76.

ما تبقى من الدين السومري (الذي طواه الزمن منذ زمن بعيد) .. ولكنه أصبح مغلفاً بالكثير من الأديان التي أتت من داخل أو خارج العراق القديم". ثم يؤكد ذلك مباشرة بقوله: "إن الدين المندائي دين توحيدي شأنه في ذلك شأن الديانات الموحدة المعروفة ولكن عمقه الروحي والتاريخي ضارب في الجذور القديمة لأقدم ديانات وادي الرافدين."[56]

تعتبر الديانة المندائية أقدم الأديان التوحيدية التي يطلق عليها المسلمون بالديانات الكتابية (المندائية والمجوسية واليهودية والمسيحية والإسلام)، وكتابهم المقدس "كنزا ربا" إضافة إلى كتب دينية عديدة أخرى، منها على سبيل المثال لا الحصر نشير إلى "دراشة اديهيا"، و "ديوان أباثر"، وديوان "حران كويثا". والدين المندائي مغلق غير تبشيري، وغير معروف تماما ما إذا كان منذ البدء غير تبشيري، أم حصل هذا لاحقاً بسبب المضايقات والاضطهاد والقمع الذي تعرض له المندائيون، إذ إن الأديان من حيث المبدأ تبشيرية عموماً، وبالتالي، فأتباع هذا الدين لا ينافسون أتباع الأديان الأخرى في دينهم، ولا يسعون إلى كسب أتباع الأديان الأخرى لدينهم. دين الصائبة المندائيين، وبخلاف الكثير من الأديان، دين مسالم، يدعو إلى المعرفة، بحكم غنوصيته، وليس لهذا الدين من نبي أو مؤسس محدد، كما في الأديان الكتابية الأخرى، وهو أمر إيجابي، فاتباع هذا الدين، كلهم هم الذين مارسوا هذا الدين ووضعوا طقوسه وسجلوا تراتيله. كتب الشيخ الترميذة علاء النشمي إجابة عن سؤال من هو مؤسس الدين، ما يلي: "إن الديانة المندائية تختلف عن باقي الأديان، بكونها ليس لديها مؤسس بشري .. أن المندائية ببساطة هي شرعة الحياة الفطرية (شرشا اد هيي) التي عرفها والتزم بها آدم أبو البشر (أول إنسان عاقل) .. فقد ورد في ك/ي، عندما أمر الخالق العظيم، رسول الحياة والنور (هيبل زيوا) (أ.س) بما يلي: ((اذهب، ناد بصوتك آدم وامرأته حواء وجميع ذريتهم بصوت عال ناديهم واجمعهم وخذ على نفسك أن تعلمهم كل شيء. أعطهم دروسا عن ملك النور السامي ذو القوة الواسعة العظيمة دونما حد أو عدد وعرفهم بعوالم النور الأبدية))، وأيضا ورد في ك/ي ((لقن آدم وزوجته العلم والمعرفة)). فهذا الأمر من الخالق العظيم لملاكه الطاهر، بان يعلم آدم وزوجته حواء (العلم والمعرفة).. فهذه المعرفة هي المندائية، ويقصد بها معرفة وجود الرب الحي العظيم. فالمندائية امتداد لشريعة عوالم النور (عوالم الله).. فهي تعني المعرفة.. ويقصد بها معرفة الرب وتوحيده، الحي العظيم (هيي ربي) مسبح اسمه، وتنظيم الصلة ما بين رب الأكوان والإنسان، وهذا هو أهم شيء وجوهر الدين المندائي.. وأول من عرف، وكان مندائي بسبب

---

56 أنظر: الشيخ الترميذة علاء النشمي، أسئلة وأجوبة عن الديانة المندائية على موقع الهوية الآرامية، أخذ المقتطف بتاريخ 2018/03/21.

معرفته، هو آدم (مبارك اسمه).. المندائية هي معرفة الحياة وهي ليست وليدة عصر، وإنما وليدة كل العصور."[57] من هذا يمكن القول بأن الدين المندائي يقترن بأدم ونوح وسام وشيت وبعدد آخر من المصلحين (الأنبياء) الذين ذكروا في القرآن الكريم أيضاً، ولاسيما إبراهيم ويحيى وزكريا، بالتالي فهم يحترمون جميع "أنبياء" الأديان الأخرى.

رغم هذا التوضيح، اختلف الكهنة وشيوخ الدين من جميع الأديان الأخرى بشأن المندائيين. ويعود هذا إلى حد ما إلى الانغلاق المندائي على الذات من جانب شيوخ الدين المندائيين ومنذ القدم، باعتباره ديناً باطنياً لا يجوز كشف أسراره. ونشأ عن ذلك، إضافة إلى عوامل أخرى لا دخل للمندائيين فيها، ومنها محاولة احتوائهم وإدخالهم في دين الآخرين، كما لحقت بهم إساءات كثيرة وتفسيرات خاطئة، وتعرضوا إلى محن وكوارث كثيرة عبر تاريخهم الطويل.

فعلى سبيل المثال لا الحصر جاء في كتاب (حران كويثا) (حران السفلى) (Inner Harran) ، وهو أحد الكتب الدينية الذي يتحدث عن تأريخ الصابئة المندائيين، إلى تعرضهم في القرن الميلادي الأول وفي بداية الدعوة المسيحية الى الإرهاب والمجازر وحملة إبادة جماعية للمندائيين في مدينة أورشليم سنة 70م التي كان يسيطر عليها الحكم الروماني حيث تمت إبادة آلاف المندائيين ومن بينهم 360 رجل دين مندائي وكانت هذه المذبحة العامل الأساسي في هجرتهم الأولى من اورشليم والعودة الى موطنهم الاصلي في وادي الرافدين ووقف التبشير بالدين المندائي مما أثر على أعدادهم لاحقا".[58] يمكن هنا العودة إلى مواعظ وتعاليم (دراشة أديهيا) ليحيى بن زكريا الذي يشير فيه إلى العلاقة مع اليهود حينذاك.[59]

كما كتبت الليدي إي. أس. دراوور في كتابها (الصابئة المندائيون) عن الإبادة التي تعرض لها المندائيون في القرن الرابع عشر في مدينة العمارة حين كان السلطان محسن بن مهدي حاكما عليها، وكان ابنه فياض حاكما على شوشتر حيث تعرض بعض العرب على امرأة مندائية لغرض اغتصابها وعلى أثر ذلك أعلنت الحرب على المندائيين فتم قتل رجال الدين والرجال والنساء والاطفال وبقيت الطائفة بلا رجال دين لعدة سنين.[60] بالنسبة للمسلمين، من حيث المبدأ،

---

57 أنظر: فائز الحيدر، الصابئة المندائيون والإرهاب عبر التأريخ، موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر، 7 شباط/فبراير 20139.

58 أنظر" يحيى بن زكريا، دراشة أديهيا، مواعظ وتعاليم، بغداد، الطبعة الأولى، 2001م.

59 أنظر: الليدي دراور، الصابئة المندائيون/ مصدر سابق.

60 أنظر: رشيد الخيون، د.، الأديان والمذاهفي العراق، مصدر سابق، ص 115.

يفترض أن يأخذوا بما جاء في القرآن الكريم بشأن المندائيين، إذ اعتبرهم أهل كتاب، وبالتالي فلا يجوز الإساءة لهم أو قتلهم بأي حال. فهل تصرفوا باستمرار على هذا الأساس؟ واقع الحال يشير إلى غير ذلك! فقد تصرف الكثير من الحكام وشيوخ الدين المسلمين بخلاف ذلك، ونقلوا موقفهم أحياناً كثيرة إلى أوساط المسلمين، مما أدى إلى تعرضهم للكثير من الكوارث والمحن على امتداد تاريخهم في ظل الدول ذات الأكثرية المسلمة.

فالواقع يشير إلى أن شيوخ المسلمين لم يختلفوا عن كهنة وشيوخ بقية الأديان الكتابية بشأن الديانة المندائية وأتباعها. فمنهم من رأى ضرورة فرض الجزية عليهم باعتبارهم من الذميين وأهل كتاب، ومنهم من رأى أنهم كفارا يجب قتلهم. كتب د. رشيد الخيون في كتابه الموسوم "الأديان والمذاهفي العراق" في الجزء الأول منه بهذا الصدد ما يلي: " إن الجهل في تاريخ هذا الدين، بسبب باطنيته جعل الطبري ينقل عن المفسر عبد الرزاق الصنَّعاني (ت 211هـ) عن سفيان الثَّوري (ت 161هـ) "الصابئون قوم بين اليهود والمجوس ليس لهم دين).[61] ومثل هذا التقدير ليس خطأً فادحاً فحسب، بل يعرض أتباع هذه الديانة إلى خطر القتل على ايدي المسلمين. كتب الخيون بصواب ما يلي: لا نعتقد أن في الشرق منبع الأديان، هناك قوماً لا دين لهم. ومن يطلع على كتاب "كنزا ربا" وترجمات كتب المندائيين الأُخر مثل "ديوان أباثر" ورسوم الأفلاك، والكائنات النورانية قد يعذر الزمخشري (ت 538هـ) على الشطر الأخير من عبارته التالية: "قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة".[62] التفسيرات الخاطئة وبعيداً عن معرفة الدين وأصوله وطقوسه كان سبباً في الكثير من الاجتهادات الخطيرة التي عرضت أتباع الديانة المندائية إلى الكثير من الكوارث والمحن. فعلى سبيل المثال لا الحصر صدرت فتاوى تعتبرهم مشركين، وبالتالي يحل على المسلمين قتلهم، منها مثلاً ما أفتى به محتسب بغداد والقاضي والفقيه الشافعي ابي سعيد الحسن بن يزيد الإصطخري (ت328هـ) أيام القاهر العباسي، روى الخطيب البغدادي (ت 463هـ) في سياق ترجمة الإصطخري: أفتاه بقتلهم، لأنه تبين له أنهم يخالفون اليهود والنصارى، وأنهم يعبدون الكواكب، فعزم الخليفة على ذلك، حتى جمع بينهم مالاً كثيراً له قدر فكف عنهم."[63]

---

61 **أنظر: المصدر السابق نفسه.**

62 **أنظر: المصدر السابق نفسه ص 117/116.**

63 **أنظر:** المصدر السابق نفسه.

تؤكد جميع المصادر التي تحت تصرفي إلى أن العراق وإيران هما موطنا المندائيين. كتب الباحثان نعيم بدوي وغضبان الرومي في مقدمة كتاب الليدي دراوور الموسوم "الصابئة المندائيون" الذي قاما بترجمته ما يلي: "حول ضفتي الرافدين وبخاصة في المناطق السفلى من النهرين فيما يسمونه البطائح منهما حيث يصب النهران العظيمان مياههما في الأهوار وحيث يلتقيان في مدينة القرنة قبل أن يفرغا مياههما في الخليج العربي، وفي بطائح عربستان من بلاد إيران حول نهر كارون الذي يصب هو أيضاً مياهه في الخليج ذاته، في تلك الأصقاع عاش ولا يزال يعيش بقايا طائفة يطلق عليها الصابئين أو الصابئة أو الصبة وتطلق هي على نفسها اسم (المندايي). وكان الصابئون المندايي هؤلاء يقطنون تلك الأصقاع حين فتحت الجيوش الإسلامية بلاد الساسانيين وكانوا بأعداد كبيرة تكفي لأن يذكرهم القرآن الكريم باعتبارهم ديناً كتابياً ويمنحهم الحماية ويسميهم (الصابئين)، هذه التسمية التي لا يزالون يُعرفون بها اليوم والتي تضمن لهم وجودهم وعيشهم بين المسلمين كدين كتابي متسامح معه."[64] لغة المندائيين هي الآرامية– المندائية، وهم آراميون.

سنحاول فيما يلي أن نتطرق إلى واقع المندائيين منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة حتى الآن.

أشرنا سابقاً إلى أن المندائيين يتسمون بخصائص إنسانية كالرغبة الجامحة في السلام والمحبة والتعاون والتضامن والابتعاد عن الصراعات وحب العراق، باعتباره وطن الآباء والأجداد الذي شاركوا في بناء حضارته على امتداد تاريخ العراق بكل صمت وتواضع، وهم من محبي العلم والمعرفة. ومن هنا انطلقت تلك الحكمة المندائية التي تقول "ويل لعالم غير منفتح على غيره، وجاهل منغلق على نفسه". جنبتهم هذه المواقف الكثير من المصاعب والآلام، رغم بروز مواقف غير ودية من جانب الحكام في فترات مختلفة من تاريخ العراق. وفي العراق الحديث، حيث وضع الدستور والقوانين ونظم العمل الحديثة، ابتعد المشرع العراقي عن ذكر أتباع الديانة المندائية في الدستور أو في القوانين والأنظمة، كما حصل بالنسبة لليهود والمسيحيين، وأهمل الجانب الشرعي في ديانات الآخرين في أحين أهمل ذلك في ديانة المندائيين، وبشكل خاص موضوع الزواج والطلاق والوراثة والزواج بغير المندائي ...الخ.

---

64 **أنظر: الليدي دراور، الصابئة المندائيون، ترجمة نعيم بدوي وغضبان الرومي، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد، 2006، ص 7.**

أنظر: عربي فرحان الخميسي، المركز القانوني للصابئة المندائيين في العراق، الجمعية المندائية في المهجر، بتاريخ 21 نيسان/أبريل 2013.

كما تجلى أيضاً في اعتبارهم يعبدون النجوم والكواكب في بعض كتب التعليم المدرسية والتي تتنافى مع موقفهم التوحيدي والذي لا يختلفون به عن المسلمين في موقفهم من الإله الخالق. كتب الكاتب العراقي المندائي عربي فرحان الخميسي يقول: "فقد جاء بإحدى الكتب التدريسية لمادة (الدين) لجميع مدارس العراق للصف الثاني متوسط، والذي عرف بموجبه الصابئة بانهم قوم يعبدون الكواكب والنجوم، وبهذا تكون الدولة طرفا بالموضوع، وقد ساهمت بتثقيف الشباب وتحريضهم على ممارسة العنف والقتل اتجاه أفراد هذه الطائفة، بشكل غير مباشر باعتبارهم ملحدين كفرة، رغم أن وزارة الاوقاف والشؤون الدينية على إطلاع تام بمحتوى كتب الصابئة الدينية، التي قام بترجمتها الى اللغة العربية أساتذة وعلماء من الجامعات العراقية، وبإشراف الوزارة نفسها وباقي دوائر الدولة المعنية بما فيهم صدام حسين نفسه. وبمعنى آخر أن الدولة أباحت جريمة قتل أبناء هذه الطائفة عمدا مع سبق الاصرار مع الاسف الشديد. وهناك وقائع مادية وأمور سلبية أخرى عديدة مدونة بشكل رسمي أمام القضاء لا يسمح المجال لطرحها جميعها الان."[65] وإذا كان هذا الأمر قد أساء لهم كثيراً خلال الفترات المنصرمة وقبل إسقاط دكتاتورية البعث وإقامة النظام السياسي الطائفي على أنقاضه من جانب الحكومات العراقية المتعاقبة، فأن الدستور العراقي الجديد قد جاء على ذكر المندائيين مرة واحدة في الفقرة ثانياً من المادة الثانية، إذ نصت:

"ثانياً: يضمن هذا الدستور الحفاظ على الهوية الاسلامية لغالبية الشعب العراقي، كما ويضمن كامل الحقوق الدينية لجميع الافراد في حرية العقيدة والممارسة الدينية، كالمسيحيين، والإيزيديين، والصابئة المندائيين."[66]

"كما إن البطاقة التموينية الجديدة قد تضمنت ما يسيء إلى المندائيين على وفق ما جاء في بيان لرئاسة الطائفة، نرفق هنا نصه:

---

65 أنظر: أنظر: عربي فرحان الخميسي، المركز القانوني للصابئة المندائيين في العراق، الجمعية المندائية في المهجر، بتاريخ 21 نيسان/أبريل 2013. أخذ المقطع بتاريخ 2018/05/04.

66 الدستور العراقي لسنة 2005.

بأسم الحي العظيم

رئاسة
طائفة الصابئة
المندائيين

التاريخ:٢٠١٥/١٠/٣١

بيان صادر من رئاسة طائفة
الصابئه المندائيين في العراق والعالم

يعرب ابناء طائفة الصابئه المندائيين ورجال دينهم في العراق والعالم عن اسفهم الشديد
وامتعاضهم العالي وخيبة املهم لما جاء بنص الفقره ثانيا من الماده ٢٦ من قانون البطاقه
الوطنيه والتي اقرها مجلس النواب بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٢٧ والتي تنص على تبعية الاولاد
القاصرين الى الدين الاسلامي حين يعتنق احد الابوين الاسلام هو قرار مجحف بحق الاقليات
الدينيه وهو انتهاك صارخ لمفهوم المواطنه ومبدا المساواة ومواد الدستور العراقي والاتفاقات
الدوليه كما هي بادره خطيره في تمزيق الوحده الوطنيه ولنسيج الشعب العراقي
ندعوا الجميع وعلى راسهم السيد رئيس الجمهوريه الحامي لمواد الدستور ودولة رئيس
الوزراء ومجلس النواب الى العمل على تعديل
هذه الماده بما يضمن حق الابناء باختيار ديانتهم عند بلوغهم السن القانوني وبذلك نكون قد
طبقا قوله تعالى ((لا اكراه في الدين))
ان تحقيق هذه الفقره هو تحقيق للعداله والمساواة بين جميع مكونات الشعب العراقي
حفظ الحي العظيم العراق وشعبه

الريش امه
ستار جبار حلو
رئيس طائفة الصابئه
المندائيين في العراق
والعالم

راجع: مجلس شؤون الصابئة المندائيين العام في العراق، 3 تشرين الثاني/نوفمبر 2015.

وفي الواقع العملي لا يتمتع الصابئة المندائيون بأي حرية فعلية، لأنهم يعيشون في تهديد دائم من قبل قوى الإسلام السياسي المتطرفة، كما إن الحكومة لا توفر لهم أي وضع أمن، بل ربما ترتاح بعض القوى الحاكمة لهجرة بقية المندائيين من العراق، تماماً كما هو الموقف من بقية أتباع الأديان والمذاهب الأخرى ومنهم المسيحيون. فقد تعرض المندائيون، سواء أكان في موطنهم الأصلي جنوب العراق، أم ببغداد، إلى شتى صنوف الاضطهاد والمطاردة والتشريد والقتل والتهجير، إضافة إلى سلب دورهم ومحلات عملهم وما فيها من جانب المليشيات الطائفية المسلحة التابعة للأحزاب الإسلامية السياسية الشيعية بشكل خاص في مناطق الجنوب وبغداد، إضافة إلى التنظيمات الإرهابية السنية، كالقاعدة وداعش أو غيرها.

ليست لدينا معلومات تفصيلية عن عدد السكان المندائيين في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي. وأول المعلومات المتوفرة تعود إلى الإحصاء الرسمي لعامي 1957 و1965، إذ لم يذكر عن أتباع الديانة المندائية قبل ذاك بشكل مستقل عن بعض الأديان الأخرى، بل كان أتباع الديانة المندائية يدمجون مع الإيزيديين وأتباع ديانات أخرى، وتذكر تحت باب "آخرون".

والجدول التالي يشير إلى عدد نفوس المندائيين في هاتين السنتين 1957 و1965:

المنطقة	السنة	عدد سكان الصابئة المندائيين في العراق في عامي 1957 و1965	نسبة المندائيين إلى نسبة السكان العراق والمناطق%
العراق	1957	11.825	%0,03
العراق	1965	14.262	%0,18
المحافظات الشمالية	1957	359	3,0
المحافظات الشمالية	1965	305	2,1
المحافظات الوسطى	1957	5.421	45,1
المحافظات الوسطى	1965	7.492	52,5
ومنها بغداد	1957	3.768	31,9
ومنها بغداد	1965	6.271	43,9
المحافظات الجنوبية	1957	6.305	52,2
المحافظات الجنوبية	965	6.465	45,3

المصدر: د. فاضل الأنصاري، مشكلة السكان، مصدر سابق، ص 31 و32.

ورغم هجرة جمهرة غير قليلة من المندائيين إلى خارج العراق في فترة حكم البعث، بسبب مواقف المعارضة من استبداد النظام وبطشه ومن ملاحقة أجهزة الأمن لهم وابتزازهم، فأن عدد السكان الصابئة قد قدر بـ 70000 نسمة في نهاية عام 2002 وبداية 2003. وتشير آخر المعطيات المتوفرة إلى إن عدد المندائيين في العراق لا يزيد عن عدد يتراوح بين 7000 – 10000 نسمة، ونسبة مهمة من هذا العدد تعيش بإقليم كردستان، ولاسيما أربيل حيث بنوا معبدهم المسمى "المندي". وبهذا يكون عدد المهجرين قسراً يصل إلى رقم خيالي بالنسبة للأقلية الدينية السكانية المندائية، إذ بلغ بحدود 60000 نسمة أو ما يعادل 85% من المندائيين. وهم يعيشون اليوم بأوروبا، ولاسيما بالسويد والولايات المتحدة وكندا وأستراليا والأردن، حيث تعتبر الدولة الأردنية موقع العبور لهم إلى دول العالم الأخرى. إنها جرائم بشعة تلك التي ارتكبت بحق الأفراد والعائلات المندائية خلال الفترة الواقعة بين 2003–2016، إذ بلغ عدد القتلى على أيدي المليشيات الطائفية المسلحة والإرهابية بـ 193 شهيداً.[67] ولا بد من الإشارة إلى أن الجرائم ضد المندائيين ما تزال ترتكب حتى الآن بهدف إشاعة الرعب في صفوفهم ودفعهم للهجرة من وطنهم والسيطرة على أملاكهم، إنها جريمة مستمرة ولم يوضع لها حد حتى الآن.

---

67 أنظر: التقرير السنوي عن حالة حقوق الإنسان في العراق لعام 2016 الصادر عن الجمعية العراقية لحقوق الإنسان في الولايات المتحدة الأمريكية.

الفصل السادس

العراقيون الشبك

إلى بنات وأبناء شعبنا العراقي، إلى إخوتنا في الإنسانية، إلى المواطنات والمواطنين الشبك، أقدم لكم جميعاً خالص تعازي لمن سقط منكم شهيداً أو جرح وعوق لأسباب سياسية، أو دينية، أو مذهبية، أو عنصرية وشوفينية، على امتداد الفترات المنصرمة ولاسيما في أعقاب إسقاط الدكتاتورية البعثية والصدامية الغاشمة وقيام نظام سياسي طائفي مقيت ومحاصصة مذلة للإنسان العراقي، رجلاً كان أم امرأة، بإصرار من الإدارة الأمريكية وولاية الفقيه بإيران وشيوخ الدين والأحزاب الإسلامية السياسية الطائفية في العراق، ومن ثم، وبشكل أبشع، بعد اجتياح الموصل وعموم محافظة نينوى حيث وقعتم ضحية سهلة في أيدي الدواعش الأوباش، بسبب السياسات الرجعية والمشوهة التي مارستها القوى الطائفية الحاكمة في العراق، والتي سمحت لولوج هذه الجماعات الإسلامية السياسية المتطرفة والمتوحشة من ثغرة النظام السياسي المركزية، من الطائفية في الفكر والممارسة اليومية، إلى العراق. أنتم، كغيركم من أبناء وبنات محافظة نينوى والمحافظات الغربية والحويجة وديالى عانيتم الأمرين تحت الاحتلال الداعشي وسطوته، أو أجبرتم على النزوح إلى مناطق أخرى، وعانيتم بقسوة كبيرة منها ومن الهجرة القسرية والتمييز. أحييكم بحرارة وأشد على أيديكم، فأنتم وغيركم جزء من هذا الشعب، وأبناء وبنات هذا الوطن المستباح حتى الآن بالطائفية والفساد والإرهاب!!!

ك.ح

الشبك مكون عراقي يعتنق الإسلام ديناً، وأفراده على مذهبين: الشيعي الجعفري أو الإمامي، وهم يشكلون الأكثرية، والسني الشافعي، وهم يشكلون الأقلية. والعيش المشترك بين معتنقي المذهبين في الإسلام لم تنغّصه الصراعات المذهبية.

اختلف الباحثون والكتاب بثلاث مسائل جوهرية بشأن الشبك، وهي:

1. الموطن الأصلي للشبك ومتى قدموا إلى العراق؛ 2. الديانة والمذهب الذي يعتنقه الشبك؛ و3. وهل يشكلون قومية خاصة بهم أم أنهم جزء من قومية أخرى، وما هي اللغة التي يتحدثون بها. لقد ذهب الباحثون مذاهب كثيرة في تشخيص الإجابة عن هذه الأسئلة.

لقد تسنى لي قراءة عشرات المقالات والكتب التي بحثت في موضوع الشبك والمناقشات التي جرت حتى الآن بين الباحثين، والكتاب والتي في الغالب الأعم لم تتوصل إلى وحدة الرأي. ويبدو إن هذه المسألة ستبقى محوراً للنقاش في الفترة القادمة أيضاً. ولكن لا بد للباحث، إضافة إلى سعيه في التحري عن مصادر قديمة تشير إلى وجهة الإجابة عن هذه الأسئلة، لا بد من الحوار مع أصحاب الشأن وذاكرة عائلاتهم وما سجل لديهم بشأن الإجابات المطلوبة. وفي الآونة الأخيرة التقيت مع السيد يوسف محرم، المقيم مع عائلته ببرلين واستمعت لوجهة نظره ورؤيته للمسائل المطروحة، كما اطلعت على الدراسة التي أعدها أثناء دراسته الجامعية، ومن ثم دراسة الأستاذ سعد سلوم[68] والأستاذ زهير كاظم عبود عن الشبك[69] وكذلك دراسة الدكتور رشيد الخيون[70] واللقاءات التي أجريت مع الباحث والسياسي والنائب الدكتور حنين گدو وما نشره بصدد الشبك، باعتباره أحد أبناء الشبك وممثلاً عنهم في المجلس النيابي العراقي في الوقت الحاضر.

لقد استخلصت من كل ذلك المسائل التالية:

الشبك قوم قدموا إلى بلاد ما بين النهرين (ميزوبوتاميا) من منطقة حوض بحر قزوين بنهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر ضمن الحملة التي قادها تيمور لنگ (تيمور الأعرج) (1336 -1405 م) على المنطقة في الفترة بين 1397/1398-1405م)، بما فيها مدينة الموصل. لقد كان جيش المغول لا يتكون من جنود مغوليين فحسب، بل من جنود ينتسبون إلى أقوام أخرى كانت تحت سيطرة المغول والقائد المغولي تيمور لنگ في اجتياحه العسكري صوب العراق والشام ...الخ. وقد استقرت مجاميع مختلفة من الجنود والعوائل التابعة لقوات المغول في العراق، ومنهم عائلات من الشبك. كما إن الحملات العسكرية اللاحقة من

---

68 أنظر: سعد سلوم، مائة وهم عن الأقليات الدينية في العراق، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والإعلامية، بيروت-بغداد، 2015.

69 أنظر: زهير كاظم عبود، الشبك، سلسلة كتب سرمد العربي، طبعة أولى، السليمانية، إقليم كردستان العراق، 2006.

70 أنظر: رشيد الخيون د.، الأديان والمذاهفي العراق: ماضيها وحاضرها، مركز المسبار، دبي، 2016.

جانب الصفويين أو غيرهم قد جلبت معها الكثير من الأقوام إلى العراق لتقطن فيه، ومنهم الفرس أيضاً. وهم بهذا المعنى قوم ضمن الأقوام التي كانت خاضعة لسيطرة المغول على حوض بحر قزوين، وأن اسمهم "الشبك" متأتي من اسم الملك والقائد العسكري الذي كان الشبك تحت أمرته، واسمه الشاه بگ، والتي تحورت لتصبح الشبك. وفي مناطق الشبك هناك قرية باسم المنارة شبك أصبحت منذ القدم مقبرة لموتى الشبك، والتي يقال أن الشاه بگ مدفون فيها. هم يعتقدون جازمين بأنهم ليسوا من القومية التركية أو الكردية أو الفارسية، بل قومية خاصة بهم، إنها القومية الشبكية. ويبدو أنهم منذ أن كانوا في حوض بحر قزوين قد تبنوا المذهب الشيعي، ولكن قرب قرى بعينها من الموصل بأكثريته السنية قد أثر على مذهب هذه القرى وحولها إلى المذهب السني، كما إن جوارهم لكردستان قد ساهم بتبني المذهب السني الشافعي. وما زال الشيعة منهم حتى الآن على التقاليد الإمامية، رغم دخول الكثير من الطقوس البكتاشية بحكم وجودهم ضمن العراق وتحت الهيمنة العثمانية، وهي طقوس قريبة من طقوس الشيعة الإمامية مع بعض المغالاة في موضوع الحسين وأهل البيت. ويشار إلى أن كبار السن, وجمهرة من الشباب، من الشبك ما زالوا يمارسون التقاليد والطقوس البكتاشية المعروفة عن الطائفة البكتاشية بتركيا وبعضهم في العراق. إلا أن اقترابهم من الحوزة الدينية الشيعية، إضافة إلى هيمنة الأحزاب الشيعية على الحكم قد ساعدت على تغلغل الأحزاب الشيعية في صفوفهم وكسب المزيد منهم إلى التقاليد والطقوس الشيعية، ولاسيما الشباب منهم.

وللشبك لغتهم الخاصة، التي هي ضمن اللغات الهندو–أرية المستقلة التي دخلت عليها كلمات تركية وفارسية وربما بعض الكلمات الكردية، ولكنها خاصة بهم ويستخدمون الحروف العربية، ولكنها تكتب بشكل أفضل بالحروف اللاتينية. وبهذا المعنى فهم مكون قومي شبكي وديني إسلامي بمذهبين شيعي جعفري متشابك مع الطريقة البكتاشية، وسني شافعي.

يذكر السيد يوسف محرم أن " للشبك عادات وتقاليد خاصة متميزة من حيث إقامة الاعياد و المناسبات الدينية والاعراس، وممارسة باقي التقاليد الاجتماعية... لأقلية الشبك زي خاص تراثي فلكلوري ذا قيمة تاريخية خاصة بهم. يوجد في مناطق الشبك مزارات ومقامات دينية مقدسة مثل مقام الامام زين العابدين ع ومقام امام الرضا وامام العباسية ومرقد قلورش ومزارات دينية اخرى."[71] من هنا فهم يرفضون محاولات جعلهم جزءاً من القومية الكردية، كما يرفضون الادعاء بكونم جزءاً من القومية التركية، إضافة إلى إنهم يرفضون الادعاء لكونهم من القومية الفارسية

71 تقرير خاص ليوسف محرم موجود في أرشيف د. كاظم حبيب).

أو جاءوا مع الصفويين إلى العرق، كما إنهم قاوموا محاولات تعريبهم من جانب النظام البعثي، بالرغم من أن جوازاتهم وهوياتهم الشخصية ما تزال تحمل الأسماء أو الألقاب العربية التي فرضت عليهم. يشير تقرير كتبه يوسف محرم بشأن أوضاعهم إلى ما يلي:

"مع تعاقب الحكومات في العراق أستمر مسلسل تهميش الشبك حتى سيطرة حزب البعث على الحكم، حيث استخدم النظام سياسة التعريب ضد الشبك ومسخ هويتهم ومحاولة إنهاء وجودهم بشكل نهائي في العراق واجبارهم على التسجيل في الهويات الشخصية بأنهم عرب والانتساب الى القبائل العربية. ولم يكتف بسياسة التعريب في محاولة انهاء وجود الشبك فحسب، بل قام النظام بين عامي 1987 و1988 بعمليات أنفال ضد عائلات الشبك في منطقة سهل نينوى، وذلك بهدم منازلهم وقراهم واعتبارهم تبعية إيرانية وليسوا عراقيين. كما تم اعتقال الكثير من الشخصيات الشبكية المعروفة ومن رجال الاعمال لأسباب طائفية، وإجبار رجال الدين الشبك على تطبيق منهاج البعث في ممارسة الطقوس الدينية."[72] تشير المعلومات المتوفرة إلى إن الشبك يستوطنون 56–72 قرية وناحية ومدينة تقع في شرقي الموصل وعلى الجانب الشرقي من نهر دجلة وتتبع إلى أربعة أقضية هي: قرقوش، والموصل وتلكيف، والحمدانية. قدَّرت سلطات الاحتلال البريطاني نفوس الشبك في العام 1925 بـ 10000 نسمة، وبلغ نفوسهم على وفق إحصاء العام 1977 بحوالي 80000 نسمة.[73] كما قدر في العام 2002 بحدود ربع مليون نسمة.

عاش الشبك أوضاعاً طبيعية في العهد الملكي حيث اعترف بهم النظام السياسي حينذاك كونهم يشكلون قومية بذاتها هي القومية الشبكية، وأنهم يتبعون مذهبين الشيعي والسني. يتحدث الشبك عن حالتين في أوضاعهم بالموصل في العهد الملكي:

أولاً: علاقات تعايش سلمي متميز وتعاون وتضامن وحسن جوار بعيدا عن أي شكل من أشكال العنف أو استخدام السلاح بين المكونات القاطنة في سهل نينوى، وهم المسيحيون والإيزيديون والتركمان والشبك.

ثانياً: علاقات تمييز وتهميش من جانب إدارة الموصل وأهل الموصل السنة، باعتبارهم شيعة روافض! فكان التعامل يجري عملياً على النحو التالي: أهل الموصل السنة درجة أولى، العائلات

---

72 المصدر السابق نفسه.

73 قارن: ديوان أوقاف الأديان المسيحية والإيزيدية والصابئة المندائية، العراق نصرت مردان 4 كانون الأول/ 2010).

المسيحية درجة ثانية والعائلات الإيزيدية درجة ثالثة، والشبك درجة رابعة. وكانوا يعانون من العزلة وعدم التعامل الاقتصادي معهم.

أما في فترة البعث الثانية فقد تعرضوا لعملية تعريب صارخة. لقد أصدر النظام أوامر تقضي بتسجيل العراقيين في شمال العراق أما عرباً أو كرداً، فسجل عدد يتراوح بين 300-400 شخص كأكراد، وسجل بقية الشبك كعرب. وأعطيت لهم في التسجيل ألقاباً عربية أو حورت أسماؤهم. مثال على ذلك يوسف محرم سلمان البو حيْو، أصبح يوسف محرم سلمان النعيمي، في حين أنه من عائلة شبك معروفة في أوساط الشبك.

أما الذين سجلوا بأنهم كرد، وهم من قرى الشبك، فقد أصبحوا ضمن الفرسان (الجحوش)، وهجَّروا من مناطقهم إلى دشت حرير بإقليم كردستان، حيث أقيم لهم حينذاك مجمع سكني. وعلى العموم فقد عاشوا في هذه الفترة تحت وطأة التمييز المشدد، نورد هنا على سبيل المثال لا الحصر ما كانوا يعانون منه في محافظة نينوى.

**** النظرة الدونية للشبك باعتبارهم روافض وعدم التعامل الاقتصادي من باب التعالي، ** منع الزواج معهم، والابتعاد عن إقامة علاقات اجتماعية معهم، ** عدم السماح لهم بالعمل في الإدارة أو في الأمن أو التعليم، ** وجود تحفظ على الشبك عموماً من منطلق خاطئ أنهم جاءوا مع الغزاة وساهموا في الحملات التي تعرضت لها الموصل!! ** وقد أدى هذا إلى انغلاق الشبكيين على أنفسهم ومحاولة العيش في اكتفاء ذاتي من خلال نشاطهم الاقتصادي في قطاعي الزراعة ورعي الماشية. ويشير السيد يوسف محرم إلى هذا الموقف بما يلي:**

"كانت النظرة التي تجعل الآخر في مرتبة أدنى اجتماعيا موجودة في البيئة الموصلية التي عشت فيها، فقد كان المجتمع الموصلي ينظر نظرة دونية إلى الإيزيدي والشبكي وفي بعض الأحيان إلى الكردي أيضاً". وبعدها بدأت مظاهر التمييز تنتقل إلى المجتمع الكردي بوصفه مجتمعا أكبر، فأخذ الشبكيون يواجهون هذا التمييز في المحيط الكردي بعد أن كانوا يعانون منه في محيطهم العربي."[74]

بعد سقوط الدكتاتورية البعثية استبشر الشبك خيراً، وتمنوا أن تنتهي أيام التمييز والعزلة والحرمان. وقد بدأ فعلاً بعض الانفراج. إلا إن هذا الوضع لم يستمر طويلاً، إذ في أعقاب تفجير مرقد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري في مدينة سامراء، بدأت حملة ظالمة ضد الشبك

---

[74] في لقاء خاص مع السيد محرم بتاريخ 2018/03/26، الساعة 14 بعد الظهر، ك. حبيب.

في الموصل وسهل نينوى، وبدأ القتل على هوية الشبك باعتبارهم شيعة روافض وبكتاشية. وتم قتل أكثر من 1500 إنسان من الشبك الذكور وبعض النساء بين 2005–2014، أي حتى اجتياح الموصل من تنظيمات القاعدة وداعش التي كانت لها مواقع قوية في الموصل ودور كبير في تصفية الكثير من الناس. كما حصلت عملية تهجير واسعة بلغ عدد الذين هجروا 1200 نسمة من الشبك من مدينة الموصل ومن أيسر الموصل، أي من أحياء نينوى الشرقية والميثاق والتأميم والبكر وأربجية والوحدة. كما تعرض الإيزيديون إلى قتل واسع بالموصل وفي المناطق التابعة لمحافظة نينوى في ذات الفترة. ولكن الشبك تعرضوا لمعاملة سلبية من جانب الأحزاب الكردستانية، إذ يشير التقرير الذي أمتلك نسخة منه إلى ما يلي:

"مارست الاحزاب الكردية وبأخص منها الحزب الديمقراطي الكردستاني وكذلك الاتحاد الوطني الكردستاني أبشع انواع سياسات إذابة هوية الشبك من خلال سياسة التكريد وفرض الهوية الكردية على الشبك والضغط على أبناء الشبك من خلال حملات الاعتقال والتهديد والترهيب. كما أن قسماً من الأحزاب الكردية فتح مقرات حزبية له داخل قرى الشبك واجبارهم على الانتماء للحزب الديمقراطي الكردستاني، وكذلك تغيير ديمغرافية مناطق الشبك من خلال توطين عوائل كردية في مناطق الشبك ومنع الشبك من بيع وشراء وحرية التصرف بممتلكاتهم وفرض عليهم اللغة الكردية والتدخل في حياتهم الاجتماعية والتدخل في مناسبات الشبك الدينية وافتتاح مراكز ثقافية تابعة لحزب الديمقراطي الكردستاني من اجل مسخ ثقافة الشبك وتكريدها، إضافة إلى منع الشبك من حق التمثيل السياسي من خلال السيطرة على كوتا الشبك في مجلس النواب العراقي."[75] أما بعد اجتياح داعش للموصل وسهل نينوى ابتداء من حزيران 2014 فقد وقعت أبشع الكوارث والمآسي وعمليات الإبادة الجماعية بالمكونات الدينية والقومية بالموصل ومحافظة نينوى ولاسيما ضد المسيحيين والإيزيديين والشبك والتركمان الشيعة من أهالي تلعفر. يشير التقرير السابق ذكره إلى أوضاع الشبك تحت الهيمنة الداعشية إلى ما يلي:

"بعد احداث 10. 6. 2014 وسيطرة تنظيم داعش الارهابي على مدينة الموصل وقبل دخوله منطقة سهل نينوى سيطر التنظيم على ما يقارب 9 قرى من أقلية الشبك وهي تقع على الحدود لبلدية مدينة الموصل، حيث ارتكب التنظيم أعمالاً إرهابية فيها من قتل وخطف. فقد ذبح تنظيم داعش الإرهابي في قرية "سادة بعويزه"، التي تقع شمال شرق مدينة الموصل، أكثر من 4

---

75 تقرير خاص ليوسف محرم موجود في أرشيف د. كاظم حبيب.

عوائل من الشبك بجميع أفرادها واختطف أكثر من 50 شاباً وشيخاً من قرية "عمر كان" الشبكية، التي تقع جنوب شرق مدينة الموصل، ومصيرهم مجهول لحد الآن. كما قام باختطاف العشرات من الشبان من أهالي قرية "بازوايا" وقرية "كوجلي" وتم قتلهم جميعاً. وبسبب انسحاب قوات البيشمركة الكردية من منطقة سهل نينوى وسيطرة داعش على مناطق وقرى أقلية الشبك في سهل نينوى، نفذ الدواعش تهجير جميع المواطنين والمواطنات الذين ينتمون الى اقلية الشبك ويقدر عددهم بحدود 350 ألف نسمة اي ما يعادل 20 % من اجمالي سكان مدينة الموصل. وكذلك نفذ تنظيم داعش عمليات اختطاف لأكثر من 300 شخص من أقلية الشبك، قسم منهم وضع في سجن بادوش والذي كان تحت سيطرة تنظيم داعش الإرهابي، وقسم اخر في سجون مدينة الرقة السورية. عثر في الفترة الماضية على ثلاث مقابر جماعية تحتوي كل مقبرة على مجموعة كبيرة من المدنيين من أقلية الشبك في منطقة "الحاوي" وقضاء "سنجار" وناحية "الگوير". لم يقف سلسلة جرائم تنظيم داعش الارهابي الى هذا الحد، بل قام بتفجير جميع المقامات الدينية والمواقع الاثرية الخاصة بأقلية الشبك في قرية "علي رش" وقرية "تيس خراب" وقرية "العباسية" وقرية "بازوايا" و"خزنة تبة" و"منارة شبك"، كما قامت بتفجير المواقع الاثرية في قرية "طبرق زيارة". فقد نشر تنظيم داعش الارهابي على صفحات التواصل الاجتماعي بتاريخ 19.3.2015 صوراً يصف بها كيفية تفجير الحسينيات والمراقد والمراكز الدينية الخاصة بأقلية الشبك، وقدر ذلك بأكثر من 8 مواقع. وبعد تهجير جميع المدنيين من أقلية الشبك الى محافظات وسط وجنوب العراق وإقليم كردستان يعاني المدنيون من أقلية الشبك أصعب الظروف المعيشية مع انعدام الامن والرعاية الصحية والتعليم، وكذلك تفشي الكثير من الأمراض بين الأطفال والنساء وكبار السن مع ارتفاع عدد الوفيات، كلها بسبب سوء الظروف المعيشية وارتفاع مستوى الأمية والبطالة بين المواطنين والمواطنات، ووصل الإرهاب حد الإبادة الجماعية ضدهم، حسب المعايير والقانون الدولي للإبادة الجماعية."[76]

76 المصدر السابق نفسه.

الفصل السابع

العراقيون الزرادشتيون (النورانيون)

الزرادشتية ديانة أسيوية قديمة، يبلغ عمرها قرابة 3500 سنة، ظهرت بمنطقة أذربيجان بإيران والمنطقة التي يعيش فيها الكرد (أورمية) والتي يطلق عليها الفرس "الرضائية" أيضاً، إذ كانت ضمن دياناتهم القديمة، ولا زال هناك من يعتنقها بإيران والعراق، إضافة إلى دول أخرى مثل الهند. وهي ديانة توحيدية تؤمن بـ "الخالق غير المخلوق"، وتؤمن بوجود صيغتين للإله الواحد، أهورا مزدا "إله النور والخير"، إله العقل والحكمة والمعرفة، وأهريمان "إله الظلام والشر"، الإله الذي يرفض العقل والحكمة والمعرفة، وهما في صراع دائم. والزرادشتيون يقدسون العناصر الأربعة النار والماء والهواء والتراب، ويحرّمون تدنيسها، باعتبارها عناصر طاهرة. وعند الصلاة يتوجهون صوب النور ولاسيما الشمس. وقد شرح غاستون بلاشر العوامل التي دفعت الديانات القديمة إلى التركيز على هذه العناصر الأربعة ذات الأهمية الفائقة في حياة الإنسان، التي أدركها وعبر عنها زرادشت، على النحو التالي:

" – النار: تُضيء وتُدفئ، انها عُنصر قوة الانسان وسموه على العالم الحيواني ولكنها يمكن ان تنقلب ضده، فالنار تحرق، وهي على علاقة مع الشمس.

– الماء يُطهر: إضافة إلى ذلك يعتبر مصدر الحياة أو التجدد، ومن هنا كان طقس الينابيع المنتشرة جداً، والشعائر الكثيرة في كل الديانات تقريباً.

– الهواء: هو العنصر السماوي، ومن هنا يكون الارتفاع في المسيرة الروحية.

– الأرض: رمز الخصب والخصوبة كذلك. ولها علاقتها مع الولادة والموت، والحيّة هي رمز هذه الثنائية."[77]

ويشير الباحث صبري المقدسي إلى "إيمان الزرادشتية بالأرواح الخيّرة وأهمها الروح القدس (سبنتا مانيو) والأرواح الشريرة الكاذبة التي تقف بالمرصاد من الأرواح الخيّرة والتي تبقى الى الأبد في مواجهة القوة الخيّرة وتسمى (آنغرا ماينيو) وهو الروح الكبرى والمجرّب والمخرّب الذي يعيش مع الأرواح الشريرة الاخرى التي تساعده على التخريب وعلى نشر الظلام وكل أنواع الشرور الاخرى سواء الأدبية أو الطبيعة."[78]

---

[77] **أنظر: فيليب سيرنج، رمزية العناصر الأربعة، ترجمة عبد الهدي عباس، موقع** غاستون باشلار Gaston Bachelard.

78 أنظر: صبري المقدسي، الزرادشتية: المنشأ والجذور والعقائد الروحية، موقع الحوار المتمدن، المحور: دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات، العدد، 4083، في 2013/05/05.

الديانة الزرادشتية سبقت الديانات الكتابية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام، وانتشرت في منطقة واسعة من آسيا، ولم تتجاوزها، وهي ما تزال تجد بقايا لها في عدد من دول العالم الآسيوي، بما فيها إيران. كما برزت مجدداً بإقليم كردستان العراق، رغم إنها لم تختف يوماً.

اعترف الإسلام بالزرادشتية كدين موحد، واعترف بمعتنقي هذه الديانة باعتبارهم أصحاب كتاب مقدس، وفرض عليهم الجزية، كما فرضها قسراً على أتباع بقية الديانات الكتابية، ومنها اليهودية والمسيحية والمندائية. وقد جاء في الآية 17 من سورة الحج في القرآن بصدد المجوس، وهم الزرادشتيون، ما يلي: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ".

للديانة الزرادشتية كتاب مقدس هو "الأفيستا"، ويطلق عليه أيضاً بـ "الأبستاق"، أي الأصل أو المتن باللغة الفارسية القديمة، ويشتمل على تعاليم الفيلسوف زرادشت. وللكرد نسخة من الأفيستا مكتوبة باللغة الميدية، الكردية القديمة، ويشير بعض الباحثين إلى إن تعاليم هذا الكتاب دونت أساساً بهذه اللغة. (راجع: زهير كاظم عبود، الزرادشتية، بغداد، 2015، دون ذكر دار النشر، ص 123). كما إن لديهم مجموعة من الكتب التي يوزعها العلماء على مجموعتين، هما الكتب الطقسيّة والثانية من الكتب الإرشادية العامة، وهي اليسنا والفيسبارات واليشتات الفينديداد والسيروز. وهي كتب تبحث في الصلاة والأناشيد والتراتيل والشريعة والعقود...الخ.

ظهرت الزرداشتية كديانة في فترة بدأت فيها الديانة المثرائية بالأفول. وكان زرادشت أول من وضع أسسها وبدأ بنشرها، وتبنى بعض الجوانب المهمة من الديانة الميثرائية، وحلّت عملياً محلها. وتدريجاً اندثرت الديانة الميثرائية، وانتهت عبادة الإله العظيم مثراسMithras وحلت عبادة الإله "أهورا مزدا" محلها. وقد جاء ذكر الإله ميثرا "في أقدم الكتب المقدسة (ريك فيدا) باسم (ميثرا) وفي الآفستا **باسم (ميثرا) بأنه اله النور حامي حمى الحقيقة وعدو الكذب والخطيئة ، وورد في (الآفستا) عن (ميثرا) بأنه يعاقب كل من حلف يمينا كذبا أو ينحرف عن الحق والصواب والنزاهة ، انه يحطم القبائل والجماعات المناهضة له، ويهب الصحة والصداقة والرجاء للذين يمجدونه ويكون حليفا مؤيدا لمن ينذرون أنفسهم له."[79] فمن هو زرادشت؟**

زرادشت

يعتبر زرادشت إحدى الشخصيات الإصلاحية التي ظهرت في منطقة الشرق الأوسط أو جنوب غرب آسيا. ويعتبره أتباعه نبياً ضمن مجموعة الأنبياء الذين وضع كلا منهم ديناً يحمل الكثير من عقائد

---

[79] أنظر: مثرا، موقع المعرفة الإلكتروني، أخذ المقتطف بتاريخ 2018/05/17.

وطقوس وتقاليد الديانات السابقة، مع إضافة تعاليم وطقوس وعقائد دينية جديدة أو متقاربة. وحين الاطلاع على جوهر الدين الزرادشتي سيجد فيه الكثير جداً من قيم وسمات وخصائص وطقوس أو عقائد الديانات السابقة له او تلك التي وجدت في ذات الحقبة الزمنية. كما إن العديد من الديانات التي ظهرت بعد ذاك أخذت من الزرادشتية أو غيرها جملة من القيم والأفكار والعقائد والطقوس الدينية، كما هو حال الدين الإسلامي مع الديانة اليهودية والمسيحية أو هاتين الديانتين مع الديانات البابلية، والتي يمكن الاطلاع عليها في الرقم التي وجدت في حفريات بابل ونينوى وغيرها أو في التلمود البابلي الذي يعتبر أهم كتاب مقدس لدى يهود العالم بعد التوراة، والذي كتب ببابل. وكان الدين الزرادشتي أحد أهم الديانات التي مثلت القطيعة الفعلية مع تعدد الآلهة والأخذ بمبدأ الإله الواحد، كما هو حال الديانات الإبراهيمية أو قبل ذاك بالنسبة للديانة المندائية مثلاً.

الدراسات والأبحاث والكتب الكثيرة المنشورة عن زرادشت تشير إلى وجود تباين في مسألتين:

المسألة الأولى: يبرز التباين في أن البعض من الباحثين يعتبر شخصية زرادشت أسطورية ولم تكن موجودة أصلاً، في حين هناك الغالبية العظمى من الباحثين، ولاسيما من الشرق، يؤكدون وجود مثل هذه الشخصية والشواهد على ذلك كثيرة ومهمة، ويمكن متابعة نموذج للنقاش في هذا المجال في كتاب الباحث زهير كاظم عبود، الزرادشيتة، الذي يؤكد فيه وجود مثل هذه الشخصية الدينية فعلاً بالاعتماد على الكثير من الدلائل الملموسة وما اكتشف من أثار بإيران تؤكد وجوده ودوره في وضع الدين الذي سمي باسمه، إضافة إلى الكتب القديمة التي تأتي على ذكره وعن أعماله ودوره في نشر الدين ومثله وقيمه الإنسانية.[80]

المسالة الثانية: التباين في تحديد فترة ولادته وعمله، فهناك من يشير إلى أنه ولد وعمل خلال الفترة الواقعة بين 1000 – 500 ق.م.، وهي الفترة التي ظهر فيها بوذا وكونفوشيوس.[81] ويشير الباحث زهير كاظم عبود إلى فترة ولادة زرادشت بقوله: "ويقدر الباحثون ان زرادشت ولد في حدود 628 قبل الميلاد، وأنه توفى في العام 551 أو نحوهما، وهناك من يذكر أنه ولد في الفترة 660 – 583 قبل الميلاد ومسقط رأسه بلاد الماديين بأذربيجان..".[82] وأن ولادته كانت بمدينة أورمية والتي يطلق عليه الإيرانيون "رضائية"، وتتلمذ على يد الحكيم الشهير "بوزين كوروس"، إذ اهتم والده بتعليمه منذ كان في سن السابعة من عمره وظل الابن معه ثمانية أعوام درس فيها عقيدة قومه، ودرس الزراعة وتربية الماشية وعلاج المرضى، ثم عاد إلى موطنه بعد

---

[80] أنظر: زهير كاظم عبود، الزرادشتية، بغداد، 2015، دون ذكر دار النشر، ص 21/20.

[81] Siehe: Heiko Diadesopulus, Zoroaster: Urvater der Religion des Umbruchs, Philognosie, Wissen gestaltet die Welt, 08.09.2017.

[82] أنظر: زهير كاظم عبود، الزرادشتية، مصدر سابق، ص 42.

هذه الأعوام الطوال[83]. وخلال هذه الفترة امتلك الحكمة والطب ومعرفة الأعشاب واستخداماتها، ومعرفة معمقة بالأحجار الكريمة، إضافة إلى كونه أصبح فلكياً مرموقاً. إن دراسته ومعرفته بالديانات القديمة، ومنها الميثرائية، واطلاعه على الديانة اليهودية، مكنته من أن يضع لنفسه، ومن ثم للمؤمنين بدينه، فلسفة أو عقيدة دينية جديدة تأخذ من الماضي وتستلهم الحاضر والمتغيرات الحاصلة في المجتمع الزراعي الذي كان يعيش فيه. يؤمن الزرادشتيون بأن زرادشت نبي، وهو نبي آخر الزمان، أي لا يأتي من بعده نبي آخر، وهو الأمر الذي نجده لدى أتباع أكثر من دين واحد. يؤكد زرادشت في صلواته على وحدانية الإله فهو يقول، كما جاء ذلك على صفحات الـ(أفت) حيث ينبعث صوت زرادشت عبر سطور الـ(جاتها يآسنا) يناجي الإله (أهور مزدا).

"إنّي لأدرك أنّك أنت وحدك الإله وأنّك الأوحد الأحد، وإنّي من صحة إدراكي هذا أوقن تمام اليقين من يقيني هذا الموقن أنّك أنت الإله الأوحد ..اشتدّ يقيني غداة انعطف الفكر مني على نفسي يسألها: من أنتِ؟ ولفكري جاوبت نفسي؛ أنا؟ إنّي زرادشت أنا، وأنا؟ كاره أنا الكراهية القصوى الرذيلة والكذب، وللعدل والعدالة أنا نصير! من هذه أتفكّر الطيبة التي تحوم في خاطري، ومن هذا الانعطاف الطبيعي في نفسي نحو الخير، ومن هذا الميل الفطري في داخلي إلى محق الظلم وإحقاق الحقّ أعرفك. من هذه الانفعالات النفسية والميول الفكرية التي تؤلّف كينونتي وتكوّن كياني ينبجس في قلبي ينبوع الإيمان بأنك أنت وحدك أهورا مزدا، الإله وأنّك الأوحد الأقدس الخيّر الحقّ."[84]

الديانة الزرادشتية

لا تختلف رؤية الدين الزرادشتي كثيراً عن رؤية الديانات التي أتت من بعده حول الخالق الكبير للسماوات السبع والبحار والأنهار والحيوانات والإنسان. فقد جاء في هذا الصدد ما يلي:

"وأما بالنسبة الى خلق الكون في المعتقد الزرادشتي فإن أهورامزدا بعد أن يخلق عالم الملائكة وعالم الشياطين، فإنه يخلق سبع سموات ويزيّنها بالشمس والقمر والكواكب والنجوم ويجعل من السماء

83أنظر: زرادشت (**Zoroaster** (ZOHR-oh-as-tər)(Avestan: **Zaraθuštra**)، موقع المعرفة، **2018/05/17**.

84أنظر: الزرادشتية، موقع الميثولوجيا والتاريخ، **(الآي 44 من الجاتها ياسنا)، مدونة تعنى بعرض ودراسة الميثولوجيا والتاريخ والأديان،**

السابعة عرشا له ويجعل غلافها درعا وسياجا للكون، ثم يخلق البحار والرياح الممطرة لكي لا تجف البحار، ثم يخلق الارض في كبد السماء، ثم النباتات والاشجار، فالحيوانات، فالإنسان الاول(جيومرث).

وهذا مقطع من أناشيد الغاثا لزرادشت:
من هو منذ قديم الزمان؟....
من رسم المسار للشمس والقمر؟ ...
من أمسك الأرض ورفع السماء فلا تقع؟...
من أنبت الزرع وصنع المطر؟...
من خلق الأفكار الخيّرة؟....
من سخر الليل والصباح والظهيرة تذكرة للناس؟
من سخر البقر والانعام لرخاء الناس؟
من علم الناس الاحترام للوالدين؟...
من غير العقل الطيب،
ومن هو خالق كل شيء حسن وخيّر في الكون؟.
ويستريح أهورامزدا لمدة خمسة أيام بعد خلقه للكون ومن هنا يحتفل الزرادشتيين بهذه الايام الخمسة كل سنة ويسمونها(كهنبار) وهي في الحقيقة أيام زائدة في السنة الفارسية." (راجع: المقدسي، مصدر سابق).

ينطلق زرادشت في دينه من وجود إله واحد كلي القدرة وموجود في كل مكان وعلى الناس أن يعبدوه. ولكن هذا الإله الواحد يظهر في الدين الزرادشتي بثنائية، بإلهين منفصلين عن بعضهما ومتصارعين دوماً، إنهما: الإله أهورا مزدا، إله الخير والنور، والإله أهريمن، إله الشر والظلام. وإن إله الخير والنور هو المنتصر في المحصلة النهائية. كما يطرح الدين موضوعة أن العالم منقسم إلى عالمين: عالم النور وعالم الظلام، عالم الخير وعالم الشر. ويشار إلى أن مسائل الزرادشتية تستند إلى قاعدتين اثنتين: أولاهما بيان امتزاج النور بالظلمة، وثانيهما بيان سبب خلاص النور من الظلمة وجعل الامتزاج مبدأ والخلاص معاداً. كما إن النور هو الأول بالظهور.
وفي هذا تتجلى رؤية التناقض الفلسفية التي تجد تعبيرها في الوجود كله في الديانة الزرادشتية. وإذ يدفع اهورا مزدا اتباع الدين والبشر صوب أسس أو ثلاثة مبادئ هي: الفكر الصالح والقول الصالح والعمل الصالح، يسعى أهريمن إلى معاكسة هذه الثلاثية، بالفكر الطالح والقول الطالح والعمل الطالح. ويعتقد الزرادشتيون بأن الإنسان غير مجبر على اختيار طريق الشر والظلام، إذ أنه يقف أمام طريقين طريق الخير والنور وطريق الشر والظلام وعليه أن يختار أحدهما، وبالتالي فهو مسؤول عن افعاله

ويحاسب أمام الله، فأما يمنح الثواب أو يواجه العذاب! ويؤمنون بعذاب القبر وأن اختلف أسلوب عذاب القبر في الديانة الزرادشتية عن عذاب القبر في الإسلام مثلاً.

ويرى زرادشت بأن الإنسان يتكون من جسد وروح، ويرى إن الروح نقية وطاهرة، وإن الجسد غير نقي أو غير طاهر لأنه يموت ويتعفن. ومن هنا تأتي الطقوس الخاصة التي يمارسها الزرادشتيون لكيلا تدنس الأرض الطاهرة بأجساد متعفنة. فالزرادشتيون "يكرهون فكرة اختلاط الجسد المادي بعناصر الحياة؛ الماء والتراب والهواء والنار حتى لا يلوثها، لذا فهم يتركون جثامين الموتى للطيور الجارحة على أبراج خاصة تسمى أبراج الصمت أو (دخنه) باللغة الفارسية، حيث يقوم بهذه الطقوس رجال دين معينون، ثم بعد أن تأكل الطيور جثة الميت توضع العظام في فجوة خاصة في هذا البرج دون دفنها."[85]

تستند الديانة الزرادشتية إلى عناصر أربعة تعتبر أساس الحية، وهي عناصر طاهرة ونقية ومقدسة لا يجوز تدنيسها، إنها: النار والما والهواء والتراب. ولا تختلف الديانات الأخرى عن ذكر هذه العناصر أيضا، والاختلاف في أنها مقدسة ولكنها غير معبودة، لأن العبادة للإله الواحد. أما في الديانات الأخرى فهذه العناصر غير مقدسة، باعتبارها من خلق الله، والمقدس هو الله وحده. هنا نجد التوافق في الإله الواحد، والاختلاف في العناصر الأربعة من حيث التقديس وعدم التقديس. كما إن هناك اختلافاً أخر هو: في الديانة الزرادشتية نجد إلهاً واحداً بثنائية الإله أهورا مازدا والإله أهريمن، في حين إن الديانات التوحيدية الأخرى تعبد وتقدس إلهاً واحداً أيضاً، وأن ابليس (الشيطان) ليس سوى من مخلوقات الله، وأن كان من نار وليس من نطفة البشر أو الملائكة، كما ورد في القرآن الكريم. فقد جاء في سورة الأعراف (مكية) ما يلي: "قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ.[86] والطين هو التراب، ولهذا فأن الطين، أو التراب والنار هما سواسية من حيث الطهارة والنقاوة. وجاء في بحث عن الزرادشتية بشأن أبراج الصمت ما يلي: "أبراج الصمت هو اسم أطلقه الرحالة الغربيون على الأبنية التي يستعملها الزرادشتيون للتخلص من جثث موتاهم و التي يسموها بلغتهم "دخمه"، وهي بناء دائري الشكل يبنى على جبل صغير أو تلة عالية في موقع بعيد عن المدينة، ويدير المبنى مجموعة من الكهنة ولا يحق لسواهم الدخول اليه، وعندما يموت شخص ما من أتباع الديانة الزرادشتية يؤتى بجثته الى البرج حيث يرفعها الكهنة ويضعوها على سطح المبنى الدائري الشكل و الذي يكون محاطا بسياج مرتفع حتى لا يشاهد الناس الجثث وهي تؤكل وتتحلل، والسطح يتكون في العادة من ثلاث حلقات متداخلة، يوضع الأطفال وصغار السن في الحلقة المركزية من الدائرة اما النساء فتمدد جثثهن في الحلقة الوسطى في حين يوضع الرجال في الحلقة الخارجية، وما

85أنظر: الديانة الزرادشتية، موقع آريايى أم، أخذ المقتطف بتاريخ 2018/05/21.

86 أنظر: القرآن الكريم، سورة الأعراف، مكية، الآية 12.

ان توضع جثة جديدة على السطح حتى تنقض عليها وتمزقها النسور(3) المتواجدة بكثرة حول سياج البرج لتعودها على تناول لحوم الموتى هناك، وتترك الجثة قرابة السنة لتتحلل أجزائها بشكل كامل ولا يتبقى منها سوى العظام التي يجمعها الكهنة فيما بعد ولا يدفنوها وإنما يضعوها في تجاويف خاصة لحفظ العظام موجودة داخل البرج و تحاط هذه التجاويف بالجير الذي يساعد على تحلل العظام خلال عدة سنوات."[87]

تلعب النار دوراً مهماً في الديانة الزرادشتية، باعتبارها ناراً مقدسة ويسعون للاحتفاظ بها مشتعلة، ولاسيما في معابدهم، كما أنهم يتوجهون بصلاتهم صوب الشمس حيث مصدر النور. يمارسون الصلاة في أوقات خمسة، تمام كما يمارسها المسلمون من حيث التوقيت، ولكنهم يمارسونها وقوفاً ويتلون التراتيل الدينية. ويحتفل الزرادشتيون بعيد نوروز في الحادي والعشرين من شهر أذار/مارس من كل عام ولمدة 13 يوماً، ويكون الاحتفال كبيراً في اليوم السادس حيث يعتبر يوم ميلاد زرادشت.

إن التعاليم التي وضعها زرادشت لمتبني دينه في مخطوطات كثيرة ومهمة، جمعت وأحرق الكثير منها في العام 331 ق.م بعد سقوط الدولة الأخمينية وانتصار الإسكندر الكبير بعد أن فرض حكمه على البلاد. جاء في مقال مهم للسيد صبري المقدسي بعنوان " الزرادشتية: المنشأ والجذور والعقائد الروحية" حول حرق المخطوطات ما يلي: "331 ق.م، انتصار الأسكندر المقدوني على الملك داريوس الثالث، واخضاعه للبلاد الايرانية بعد معركة(اربيل). وإنهائه لحكم السلالة الأخمينية وتدميره للعاصمة (بيرسيبوليس)، التي كانت العاصمة المهمّة للإمبراطورية منذ 550 ق.م. وحرق عدد كبير من الكتب المزدية والزرادشتية المقدسة. والغاء تعاليم (آفيستا) وشرائعها القانونية، ومحاولة فرض الديانة الإغريقية على سكان المنطقة الذين بقوا ملتزمين خفية على دين اجدادهم."[88]

للديانة الزرادشتية كتاب مقدس هو "الأفيستا"، ويطلق عليه أيضاً بـ "الأبستاق"، أي الأصل أو المتن باللغة الفارسية القديمة، ويشتمل على تعاليم الفيلسوف أو النبي زرادشت. وللكرد نسخة من الأفيستا مكتوبة باللغة الميدية، الكردية القديمة، ويقال بأن تعاليم هذا الكتاب دونت أساساً بهذه اللغة.[89]

يعتبر زرادشت فيلسوفاً كبيراً وحكيما ومبشراً استطاع وضع تعاليم جلبت لها ملايين البشر ودعت إلى إمعان العقل والتمييز بين الخير والشر، بين النور والظلام. كتب الأستاذ زهير كاظم عبود في مقدمة كتابه الموسوم "الزرادشتية" ما يلي: "ترك زرادشت بصماته الواضحة على مجتمع، وعلى حضارة إنسانية، وتبين أنه كان متماسكاً على نشر فضائله وقيمه، غير عابئ بمباهج الدنيا ومغريات السلطة، عاش عفيفاً ومات عفيفاً، وكان اسماً كبيراً في صفحات التاريخ الإنساني. قاد عملية التنوير الإنساني

87أنظر: أياد العطار، أبراج الصمت.. تنشر جثث الموتى لتأكلها النسور!، موقع كابوس، أخذ المقتطف بتاريخ 2014/05/21.

88أنظر: صبري المقدسي، الزرادشتية: المنشأ والجذور والعقائد الروحية، موقع الحوار المتمدن، مصدر سابق.

89أنظر: زهير كاظم عبود، الزرادشتية، بغداد، 2015، دون ذكر دار النشر، ص 123.

في فترة حالكة، وجاهد من أجل إثبات القيم الخيرة التي تمسك بها، وأسس فلسفة انتشرت على مساحة ليست بالقليلة، وآمنت بها ملايين من البشر ولم تزل حاضرة وقائمة حتى اليوم. زرادشت كان اسماً حاضراً من بين أسماء بناة القيم والفلسفة والحِكم ولم يزل."[90] وجاء في كتاب خليل عبد الرحمن الموسوم "أفستا: الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية" عن مضامين هذه الكتاب ما يلي: "أفستا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتيه يتجاوز عمره ثلاثة آلاف سنة. إنها موسوعة الحضارة، الثقافة، الأخلاق والأنتروبولوجيا للشعوب الآرية. بل إنها تشهد على عظمة روح وثقافة الشعوب الآرية، حيث تمثل أقدم وثيقة تاريخية، ثقافية، دينية وقانونية مكتوبة تعكس المراسم والطقوس الدينية، الأفكار الفلسفية، الأخلاق، علم الفقه، الشرائع الطب والفلك في المجتمع البدائي الإيراني. أفستا، طفولة الشعوب الآرية: الكردية، الأرمنية، الفارسية، الطاجيكية، الأفغانية...إلخ وهي صفحة مشرقة في تاريخ تطور الأديان والثقافة الإنسانية، وأحد المصادر المكتوبة المبجلة في تاريخ الحضارة البشرية، التي تناقلتها الأجيال عبر آلاف السنين شفاهة وكتابة فهي غنية بالأساطير الجميلة، مفعمة بحب الخير والكفاح من أجله، والإيمان بنصره على قوى الشر، كما أنها متخمة بالتغني بالصدق والحقيقة، فالحقيقة فيها أفضل الخيرات."[91]

يتوزع كتاب الأبستاق (أفستا) على واحد وعشرين جزءاً، لم يبق منها سوى خمسة أجزاء هي:

" * يسنا: يعني نوع من الأناشيد أو التراتيل، وهي عبارة عن ادعية ومعلومات حول الدين وينسب إلى الرسول زرادشت، ويقع في 72 يسناهات وكل يسنا يشتمل على مجموعة ادعية. * ويسبر: يضم مجموعة من ملحقات الـ "يسنا" وهي أكثر من 23 كَرده. * وندیداد: يصف هذا الجزء الاشكال المختلفة للأرواح الشريرة، وهي تدور حول الحلال والحرام، الطاهر والنجس، ويتضمن الكثير من القوانين الدينية، ومعها القوانين ضد الابالسة. * يشتها: ويعني الاناشيد والتسابيح وكل يشت باسم أحد الاجسام النورانية. * افيستا: بجوك (خردة افيستا) وهي الصلوات اليومية وتضم تراتيل في بيان عظمة الإله."[92]

يؤمن الزرادشتيون بوجود الملائكة، وهي لا تختلف في أعمالها عن الملائكة التي يؤمن بها المسلمون، فـ "هم لا يتناسلون ولا يأكلون ولا يشربون ولا يمكن رؤيتهم، وتتطابق نظرة الزرادشتية مع الإسلام الذي حل بعدها بزمن طويل حول قضية الملائكة، وهم موكلون بأوامر الله."[93] والكثير من

---

90 أنظر: المصدر السابق نفسه، ص 4.

91أنظر: خليل عبد الرحمن، "أفستا: الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، روافد للثقافة والفنون، 2008.

92 أنظر: أبستاق، موقع الموسوعة الحرة، ويكبيديا. 2018/05/21.

93أنظر: زهير كاظم عبود، الزرادشتية/ مصدر سابق، ص 86.

الكتاب يرى بأن الكثير من الأفكار والطقوس الدينية في الإسلام مأخوذة من الديانة الزرادشتية، وهي الأقدم من حيث ظهور نبي الزرادشتيين.[94]

فكرة تناسخ الأرواح

الزرادشتيون يؤمنون بتناسخ الأرواح والتي تعني انتقال الأرواح من أجساد الموتى إلى أجساد أخرى لتعيش حياة ثانية. وهم ليسوا وحدهم من آمن بهذه الرؤية الميتافيزيقية، بل الكثير من الشعوب التي آمنت بالديانات القديمة، ومنها الزرادشتية والإيزيدية والهندوسية. يقول الباحث محمد ياسين: "هناك الكثير من الديانات التوحيدية القديمة و الوثنية تذعن بالتناسخ حتى إنه يعتبر ركنا أساسيا وواحدا من أهم ثوابت الديانة "البوذية" و"الهندوسية"، ويجد له قالبا في ما يطلق عليه "السامسارا"، وتعني عجلة الولادة و الموت، ومقتضاها أن الأجسام البشرية لا تكون شيئا، عدا أنها ثوب تلبسه الروح ذاتها في كل ولادة وتخلعه عند كل وفاة، ونفس الأمر بالنسبة لشعوب وديانات كثيرة مثل الطاوية، والمايا، والانكا..."[95]. وهو يشير في الوقت ذاته إلى ما يلي: "أما الديانات الإبراهيمية فإنها ترفض عقيدة التناسخ جملة وتفصيلا، بينما جادلت بعض طوائفها ذات الخلفية الفلسفية و الغنوصية –التي لا تأبه بالعالم المادي و تعطي أولوية للروح– جادلت بمشروعية الفكرة وتهالكت في سبيل الذود عنها، خاصة في التراث الصوفي اليهودي المتمثل في مبدأ "القبالة" أو "الكابلا"، هذا الاتجاه الذي عرف النور فعليا في القرن 12.م وظهر أول مرة كاتجاه مستقل في الجنوب الأوروبي، وبات ما يعرف حاليا: "بالتجديد اليهودي."[96]، كما إن الإسلام بمذاهبه السنية والشيعية "يقف موقف المصادم المنافح لمثل هكذا معتقد، بينما تؤمن الطائفة "الدرزية" غاية الإيمان بتناسخ الأرواح ،لدرجة أنه يمنع في طقوس الموت عندهم البكاء على الميت أو حتى تأبينه!!"[97]. هناك تباين فيما بين الديانات المؤمنة بتناسخ الأرواح في موضوع انتقال الروح من جسد إلى جسد، فبعضها يعتقد بانتقالها من جسد إنسان إلى جسد إنسان آخر، وبعضها الآخر يعتقد بانتقالها إلى جسد إنسان أو حيوان/ بل وإلى جماد أيضاً. ومن هنا أطلقت على تنوع عملية التناسخ والتقمص بما يلي:

94أنظر: حامد عبد الصمد، باحث في الإسلام، هل الإسلام مقتبس من الزرادشتية؟ ستصدم عندما تعرف الحقيقة عقائد وشرائع الاسلام مسروقة من الزرادشتية.. معقول!، youtupe، بتاريخ 2018/04/11.

95أنظر: محمد اسين، فكرة عن تناسخ الأرواح وإمكانية التجسد من جديد، موقع أصوات مهاجرة، شؤون ثقافية، 2016/07/08.

96أنظر: المصدر السابق نفسه.

97أنظر: المصدر السابق نفسه.

"النسخ: انتقال الروح من {{بدن انسان الى بدن انسان آخر}}.

الرسخ: انتقال النفس الناطقة من بدن انسان الى نبات.

المسخ: انتقال النفس المذكورة من بدن انسان الى الحيوانات.

الفسخ: انتقال النفس الناطقة من بدن انسان الى الجمادات."[98]

وتعتقد الديانة الزرادشتية بأن "الشخص الصالح ترجع روحه لجنين صالح، أما الفاسد تذهب لشخص فاسد."[99]

أما العلم وأغلب العلماء، ولاسيما الأطباء، فهم يرفضون بوضوح هذه الرؤية المثالية، إذ أن توقف وصول الدم إلى دماغ الإنسان ينهي وجود الحياة في جسمه، إنه الموت ولا حياة بعد الموت. وتلتقي الزرادشتية مع الكثير من الديانات، سواء تلك التي يطلق عليها "سماوية" أو التي تسمى "وضعية"، في عدد كثير من المحرمات، وبشكل خاص: الكفر بالله، والقتل والسرقة وشهادة الزور والزنى والغيبة والنميمة وخيانة الأمانة، والسحر وأكلة الميتة والربا والانتحار والإجهاض عمداً، والزواج بالمحرمات،.."[100]

الزرادشتيون في العراق

وجد الزرادشتيون منذ القدم بإيران والعراق في فترة حكم الأخمينيين، واعتبر الدين الرسمي للإمبراطوريات الثلاث: الأخمينية والبارثية والساسانية، ولاسيما في المنطقة الكردية. إذ كانت الديانة الزرادشتية، كما أشير سابقاً قد ولدت في أرومية مع ولادة مؤسسها زرادشت (زارا)، والتي هي جزء من كردستان والتي كانت خاضعة للدولة الساسانية. ويرجع أسم هذه الإمبراطورية إلى الكاهن *الزرادشتي* ساسان، الذي كان جد أول ملوك *الساسانيين، الملك* أردشير الأول (أردشير بن بابك بن ساسان.، باعتباره مؤسس *الدولة الساسانية (الإمبراطورية الفارسية الثانية)*.[101]

بدأت "الفتوحات" الإسلامية للسواد في عهد الخليفة الأول أبو بكر الصديق، واستكمل في عهد عمر بن الخطاب، وتم للجيش الإسلامي إسقاط الدولة الساسانية بعد حروب دامت عشر سنوات، قتل فيها الكثير من الفرس ممن كانوا يدينون بالزرادشتية. وقد أُجبر الناس بعدها على دخول الإسلام أو الهروب من إيران إلى الهند أو دفع الجزية. فتراجع وجود الدين الزرادشتي لهذا السبب في عموم

98أنظر: خالد علوكة، تناسخ الأرواح، موقع الحوار المتمدن، محور العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني، العدد 3890، في 2912/10/24.

99أنظر: زهير كاظم عبود، الزرادشتية/ مصدر سابق، ص 181.

100أنظر: المصدر السابق نفسه، ص 197.

101أنظر: ساسانيون، الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، أخذت المعلومات بتاريخ 2018/05/23.

المنطقة ومنها المنطقة الكردية، التي هي الأخرى لم يدخل سكانها الإسلام بسهولة بل على حد السيف، فكان القرآن الكريم بيد والسيف باليد الأخرى! وهذا ما يؤكده التاريخ حيث وضع السكان أمام ثلاثة احتمالات: إما القبول بالإسلام ديناً لهم وترك دياناتهم القديمة، ومنها الزرادشتية والإيزيدية، أو الهجرة من الأرض المحتلة، التي هي أرض أجدادهم، أو دفع الجزية، حيث اعتبروا من أهل كتاب، كما جاء بشأنهم في القرآن الكريم. وهذا ما حصل أخيراً حين اجتاحت واحتلت عصابات الإسلام السياسي المتطرف، تنظيم داعش الإرهابي والتكفيري الموصل وبقية مناطق محافظة نينوى وتعاملوا مع الناس من غير المسلمين بطريقة مماثلة لما حصل في الفتح الإسلامي، والذي هو في الجوهر نوع من احتلال أراضي شعوب أخرى بالقوة وفرض الهيمنة أو الاستعمار عليها. فعلى سبيل المثال لا الحصر جاء في خطبة للخليفة الثاني عمر بن الخطاب بصدد الفتوحات الإسلامية، كما ورد في كتاب "تاريخ الطبري" ما يلي:

ف " بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله فأنتم مستخلفون في الأرض قاهرون لأهلها قد نصر الله دينكم فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان أمة مستعبدة للإسلام وأهله يجزون لكم يستصفون معايشهم وكدائحهم ورشح جباههم عليهم المؤونة ولكم المنفعة وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة قد ملأ الله قلوبهم رعبا فليس لهم معقل يلجؤون إليه ولا مهرب يتقون به قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم مع رفاغة العيش واستفاضة المال وتتابع البعوث وسد الثغور بإذن الله مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام والله المحمود مع الفتوح العظام في كل بلد فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين مع هذه النعم التي لا يحصى عددها ولا يقدر قدرها ولا يستطاع أداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه فنسأل الله الذي لا إله إلا هو الذي أبلانا هذا أن يرزقنا العمل بطاعته والمسارعة إلى مرضاته واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم واستتموا نعمة الله عليكم وفي مجالسكم مثنى وفرادى.." [102]

جاء في كتاب وعاظ السلاطين للدكتور علي الوردي عن الأسلوب الذي تمت فيه عمليات الفتح الإسلامي اعتماداً على ما ذكره أبن الأثير في "الكامل" وعباس محمود العقاد في كتابه "أبو الشهداء"، ما يلي:

102

"يقول المؤرخون أن الجيش الأموي الفاتح عندما دخل المدينة بعد واقعة الحرة[103] أباحها ثلاثة أيام "فاستعرض أهل المدينة بالسيف جزراً كما يجزر القصاب الغنم حتى ساخت الأقدام في الدم وقتل أبناء المهاجرين والأنصار".[104] ثم يواصل قوله: "يروى أن جندياً من جنود ذلك الجيش الفاتح دخل على امرأة نفساء من نساء الأنصار ومعها صبي لها فطلب منها مالاً. فقالت له: "... والله ما تركوا لنا شيئاً!" فغضب الجندي وأخذ برجل الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها فضرب به الحائط فانتثر دماغه على الأرض... ."[105] ثم يقول علي الوردي: وليس في هذا غرابة. فالفتح هو الفتح في كل زمان ومكان. جرى الفتح الأموي في المدينة فعرفنا خبره. ولكننا لا ندري كيف جرى في بلاد بعيدة، وماذا قاسى الناس هنالك منه. فالجنود الذين يفعلون في مدينة الرسول لا يبالون أن يفعلوا مثله في بلاد الأعاجم أو الكفرة. ولا غرو بعد هذا أن نرى موسى بن النصير يجر وراءه من السبايا ثلاثين ألف عذراء بعد فتح الأندلس. ولا أظن بأن أولئك العذارى وقعن في الأسر طوعاً واختياراً. إن المجاهدين الفاتحين لا بد قد خطفوهن من البيوت بعد أن قتلوا رجالها ونهبوا ما فيها. فليس من المعقول أن يذهب المجاهدون إلى بيوت المدن المفتوحة فيطرقون الباب ويقولون: "أعطونا عذراء في سبيل الله". إن سبي كل فتاة وراءه قصة طويلة من النهب وسفك الدماء وانتهاك الحرمات."[106]

هكذا كان الفتح الإسلامي، وهكذا هو أسلوب كل الفاتحين المستعمرين للبلدان الأخرى، عرفناه لا في نشر الديانة الإسلامية، بل وفي نشر الديانة المسيحية في أوروبا الاستعمارية التي توجهت صوب القارة الأمريكية، ولاسيما الجنوبية، وأفريقيا، على سبيل المثال لا الحصر.

الزرادشتيون في العراق الحديث

مارست القلة الموجودة من الزرادشتيين طقوسها الدينية بشكل سري في فترة الدولة الملكية العراقية، وكذلك فيما بعد، ولم تكن لديها معابد رسمية. ولكن لا توجد شواهد على اضطهادهم في العراق.

---

[103] جاء في الجزء الرابع من كتاب فهارس تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، بصدد واقعة الحرَّة ما يلي: "وهو يوم مشهور في الإسلام، أيام يزيد بن معاوية، لما انتهب المدينةَ عسكرُه من أهل الشام الذين ندبهم لقتال أهل المدينة من الصحابة والتابعين، وأمَّر عليهم مسلم بن عقبة المُرِّي في ذي الحجة سنة ثلاث وستين، وعقيبها هلك يزيد. والحَرَّة هذه: أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة، وكانت الوقعة بها " انتهى من "النهاية في غريب الحديث" ص 217.

[104] أنظر: الدكتور علي الوردي، وعاظ السلاطين، دار كوفان–لندن، 1995، ص 209.

[105] أنظر: المصدر السابق نفسه، ص 2010/209.

[106] أنظر: المصدر السابق نفسه، ص 210.

اعترفت حكومة إقليم كردستان العراق، وكذلك البرلمان الكردستاني بالديانة الزرادشتية وحق أتباعها في ممارسة طقوسهم. فقد جاء في مشروع دستور إقليم كردستان في المادة 65 النص التالي بشأن حرية الأديان:

"المادة: 65

لا إكراه في الدين، ولكل فرد حرية الفكر والدين والعقيدة وتتكفل حكومة الإقليم بضمان حرية مواطني كوردستان من مسلمين ومسيحيين وإيزيديين وغيرهم لممارسة عباداتهم وشعائرهم وطقوسهم واحترام الجوامع والمساجد والكنائس وأماكن العبادة الأخرى وتطويرها."[107] وقد أشار مدير إعلام وزارة الاوقاف والشؤون الدينية في حكومة اقليم كردستان مريوان نقشبندي، إن قانون الوزارة أعطى حرية ممارسة الشعائر الدينية للجميع، وأضاف: "قانون وزارة الاوقاف يستند الى عدة مبادئ اهمها حرية الاديان والمعتقدات في اقليم كردستان، ولهذا فإن أي ديانة، إن كانت في الإطار القانوني، مرحب بها ونساعدها ونقدم لها التسهيلات"[108].

على وفق المعلومات المتوفرة لم يعلن حتى الآن عن أية ممارسات مناهضة لأتباع هذا الدين بإقليم كردستان العراق، ولهم اليوم معبد بمدينة السليمانية. ومن المعروف إن هذا الدين من الأديان التبشيرية، وبالتالي يسعى اتباعه إلى كسب المريدين والمعتنقين له. ويمكن أن تثير هذه المسألة القوى الإسلامية السياسية المتطرفة التي لا ترفض الأديان الأخرى فحسب، بل وترى ضرورة أن يدخل جميع الناس في الإسلام، شاءوا ذلك أم ابوا! وقد برزت اتجاهات متباينة في الموقف من الاعتراف الرسمي بهذا الدين بالإقليم، كما ورد في مقال للسيد عبد الجبار العتابي. فهناك من رحب بذلك حين قال:

"باتت الظواهر الفكرية والاجتماعية كثيرة، وبخاصة فيما بعد زلازل التغيير وشعور المواطن انه امام مفهوم جديد، لم يألفه من قبل". وتابع قوله: "الزرادشتية مبدأ اخلاقي وقيمي فاعل، وهو الاقرب الى روح التصوف الاسلامي، والسؤال كيف ولماذا التجأ الشباب الى هذا الدين، ما الذي وجدوه مغايرًا عمّا هو سائد في كردستان وربما العراق كاملًا؟ لابد من بحث واجابة."[109] وهناك عالم دين مسلم اعتبر

أنظر: مشروع دستور اقليم كوردستان – العراق، المجلس الوطني الكردستاني، بتاريخ 2006/09/24.

[108]أنظر: عبد الجبار العتابي من بغداد، جدل في العراق حول تأسيس مجلس الديانة الزرادشتية، إيلاف، 2015/05/06.

[109]أنظر: المصدر السابق نفسه.

"مسألة التحدث في الموضوع نوعاً من الهذيان، قائلاً إن التحدث فيه كفر والحاد، مشددًا على قول الله سبحانه وتعالى (ان الدين عند الله الاسلام).[110]

أكد لقمان الحاج كريم، رئيس المجلس الأعلى للزرادشتية (منظمة زند)، وجود 100 ألف شخص يعتنق هذا الدين بالإقليم. كما أكد بأن المنظمة لن تمارس السياسة، بل ستركز في عملها على الجانب الديني فقط.[111] ومع ذلك يمكن أن يصطدم هذا التوجه بالقوى الإسلامية السياسية بالإقليم أو في العراق عموماً، كما هو الحال في الموقف من اتباع الديانات الأخرى التي تتعرض إلى الكثير من المصاعب والمتاعب والتهديدات والتشريد والتهجير والقتل والتي تقف وراءها المليشيات الطائفية المسلحة وقوى الإرهاب التكفيرية، شيعية وسنية، كما تطرقنا إليها في الصفحات السابقة. يتعيّنُ على القائمين على شؤون المسلمين في العراق التأمل بعقل غير منغلق في الأمور الثلاثة التالية:

1. الأهمية القصوى لضمان حرية العقيدة واعتناق الدين الذي يراه الفرد مناسباً له، أو لا يعتقد بأي دين أو مذهب. فهذا الموثق يشكل جزءاً أساسياً من حقوق الإنسان التي لا يجوز المساس بها بأي حال.
2. لماذا تتخلى جمهرة من الشبيبة من أتباع الدين الإسلامي عن دين الإسلام والتحول صوب إلى الإلحاد، كما تشير إلى ذلك أخبار العراق، أو ما يطرحه بعض الوعاظ المتشددين في مجالسهم الدينية، في الفترة الأخيرة، والتي بدأت جمهرة من شيوخ الدين المتخلفين تثير الضجة حول هذا الموضوع ولا يسألون أنفسهم، لماذا يتحول هؤلاء الشباب، إن صح ذلك، إلى ملحدين؟
3. إن من حق الإنسان أن يتحول من دين إلى دين آخر، ولا يجوز المساس بهذا الحق بأي حال، ولا يجوز استخدام العنف في كسب أو فرض الدين الإسلامي على الناس، أو من جانب أي دين آخر، ولا تجوز ممارسة التشريد والقتل والسبي والاغتصاب، كما حصل من جانب قوى الإسلام السياسي المتعصبة والمتطرفة والإرهابية منذ العام 2003 حتى الوقت الحاضر لفرض الدين الإسلامي على الناس.

---

110 أنظر: المصدر السابق نفسه.

111 أنظر: الزردشتية تعود إلى كردستان بسبب التطرف الديني، موقع السومرية نيوز، بتاريخ 2 حزيران/يونيو 2015.

الفصل الثامن

العراقيون البهائيون

ديانة حديثة ظهرت بإيران في القرن التاسع عشر وعلى يد المبشر الأول بقيام هذا الدين التاجر الشاب علي محمد الشيرازي الملقب بـ "الباب" (1819 – 1850م)، الذي أشار بوقت مبكر إلى من التزم بهذا الدين الجديد والذي سيأخذ على عاتقه نشر الدين والدعوة له وإعلاء شأنه، إنه الشيخ ميرزا علي حسين النوري والملقب بـ "بهاء الله" (1817– 1892م)، المولود بمدينة نور بطهران/إيران. عانى هذا الرجل قرابة أربعين عاماً من الملاحقة والنفي إلى الدولة العثمانية، ثم الاعتقال والسجن، ثم الموت في السجن. عاش عشر سنوات من عمره ببغداد، كما استقر لمدة سنتين بالسليمانية. وقبل مغادرته بغداد أعلن "حضرة بهاء الله في نيسان من عام ١٨٦٣ انه مبعوث من الله، وان هدف رسالته هو تحقيق الوحدة والاتحاد بين بني البشر. ومنذ ذلك الحين ارتبط البهائيون العراقيون بروابط الالفة والصداقة مع باقي مكونات المجتمع العراقي.

أوصى حضرة بهاء الله قبل موته بخلافة أبنه عباس أفندي له، والذي لُقب بـ "عبد البهاء" (1844 – 1921م)، المولود بطهران إيران. ولكن اختلف عباس أفندي مع أخيه غير الشقيق محمد علي. وبالتالي أصبح للبهائية طائفتان. أطلق على الأولى بالعباسيين تيمناً بعباس أفندي وعلى الثانية بالموحدين. ويبدو إن الثانية لم تعد كبيرة بعد أن مورس ضدها الطرد والمنع من الوصول إلى مرقد بهاء الله في حيفا.

مارس عبد البهاء التجوال في العالم للتبشير بدينه وكتابة الرسائل وما يسهم في توسيع دائرة المعتنقين له. وقبل أن يتوفى أوصى بخلافة أكبر أحفاده المدعو شوقي أفندي (1897 – 1957م) له في قيادة أتباع الدين. وبعد وفاته اقيم المجلس الذي أطلق عليه "بيت العدل الأعظم" في العام 1963 على وفق ما ورد في كتاب الشريعة البهائية، الكتاب (الأقدس)، البيت الذي يشرف ويدير شؤون أتباع الدين البهائي. رفضت مجموعة من البهائيين الاعتراف ببيت العدل الأعظم واعتبروا البهائي الأمريكي الولادة تشارلز ميسون ريمي Charles Mason

Remey (1874–1974م) ولي أمر البهائيين. وقد أطلق على هذه المجموعة اسم البهائيون الأرثوذكس ولها مريدون في بعض المدن الأمريكية.

يشير موقع الموسوعة الحرة إلى أن عدد معتنقي الديانة البهائية بالعالم وصل في العام 2012 بحدود 7,8 مليون نسمة من مجموع سكان العالم البالغ في نفس العام أكثر من 7 مليار نسمة.

يؤمن أتباع هذا الدين الحديث بالإله الواحد، وهم بهذا توحيديون. كما يدعون إلى دين واحد، على اعتبار أن كل الأديان جاءت من مصدر واحد هو الخالق، وأن لها رسالة واحدة، وأن الناس أخوة في الإنسانية وهم متساوون. ولهم كتاب مقدس يطلق عليه بـ "الأقدس"، كما لديهم كتب عرفانية كثيرة أخرى منها كتاب "الإيقان".

برز عداء شيوخ الدين المسلمين لهذا الدين واتباعه، ولاسيما شيوخ الدين الإيرانيين حيث ظهر في إيران دعاة هذا الدين لأول مرة، لسبب أساسي هو قولهم بمجيء نبي بعد النبي محمد، في حين أن المسلمين يعتقدون بأن النبي محمد هو آخر الأنبياء والمرسلين، وبالتالي فهي ضد الرؤية الإسلامية بشأن النبوة. ولهذا حوربوا بإيران وتركيا في حينها، كما هم محاربون في العراق واليمن ومناطق أخرى من العالم العربي.

وضع البهائيين في العراق

في الوقت الذي عانى البهائيون من اضطهاد السلطات الإيرانية، اعترفت سلطات الاحتلال البريطاني في العراق بالدين البهائي وفق كتاب (بيان المحاكم رقم 6 في 1917/12/28). ويعتبر هذا الكتاب أول اعتراف رسمي للبهائيين قبل تشكيل الدولة العراقية الملكية. وواصلت الحكومة العراقية الملكية الاعتراف بهذا الدين وأتباعه، لهذا كانت عقود زواج البهائيين تصدر عن محاكم الأمور الشخصية لغير المسلمين. كما تم تثبيت البهائية في السجل الأساسي لإحصاء 1957 كواحدة من العقائد الدينية المثبتة في استمارة التعداد والسجل الأساسي، وكان البهائيون يثبتون في حقل الديانة (بهائي) للوثائق الرسمية. وكان لهم مركز ومقبرة كما كان للمحفل الروحاني المركزي للبهائيين في العراق (المؤسسة الروحانية على المستوى الوطني) مساهمات على الصعيد المجتمعي. وخلال تلك الفترة تم تشكيل العديد من المؤسسات المحلية في مختلف مدن العراق كالسليمانية وكركوك والموصل وخانقين ومختلف مناطق بغداد إضافة الى مناطق محافظة ديالى والنجف وكربلاء والبصرة وغيرها.

وبسبب خصوصية الدين البهائي يمتنع معتنقو هذا الدين عن التدخل في الاعمال السياسية والحزبية اضافة الى وجوب احترام وتقدير واطاعة السلطات الحاكمة في اي دولة يعيشون فيها فان تعاقب السلطات الحاكمة لم يؤثر على تعايش البهائيين مع ابناء وطنهم او على علاقة البهائيين بالدولة" كما جاء في وثيقة مكتوبة أرسلها لي أحد المعتنقين لهذا الدين. لم يجر أي تغيير في أوضاع البهائيين في فترة الحكم الجمهوري الأول بعد ثورة تموز 1958. ولكن أول الإجراءات المناهضة للبهائيين برزت في أواسط الستينيات من القرن العشرين، إذ تم وضع اليد على مبنى (حضيرة القدس) المركز البهائي في بغداد عام 1965. وفي العام 1970 ارتكب انتهاك صريح ضد حقوق البهائيين بصدور قانون 105 /1970 حرم بموجبه النشاط البهائي وتم حل مؤسساتهم ومصادرة الكتب والأموال والممتلكات. وما يزال يعاني البهائيون من أثار وعواقب هذا القانون، ومع صدور هذا القانون جرى في العام 1974 الحكم على عشرات البهائيين في العراق بالحبس لمدد تتراوح بين عشر سنوات والمؤبد. وبتاريخ 1975/07/24 صدر القرار المجحف رقم 358 بحق البهائيين من مديرية الأحوال المدنية الذي تضمن تجميد قيود البهائيين في سجلات الاحوال المدنية، واعطاء الدائرة صلاحية استبدال حقل الديانة، مما ادى الى سلب الحقوق المدنية والقانونية مثل الحصول على هويات الأحوال المدنية وبقية الوثائق الثبوتية وتسجيل بيانات الولادات وتسجيل الزيجات وغيرها، ما لم يُثّبت في حقل الديانة مسلم. كما تم تغيير الكثير من قيود البهائيين في دوائر الاحوال المدنية. وبالرغم من كل هذه التقييدات للحرية الا ان العلاقة التي تربط البهائيين بجيرانهم واصدقائهم استمرت بكونها علاقة منفتحة مبنية على الاحترام والتقدير من الجميع.

وقد وصلتني وثيقة من أخ من دعاة الدين البهائي أشار فيها إلى ما يلي:

"بعد عام 2003، تم الغاء سريان القوانين الجائرة ومنها قانون 105 لسنة 1970، والذي لا ينسجم مع الشرعة الدولية ولا مع دستور العراق الجديد، الذي يضمن معاملة متساوية لجميع العراقيين في جميع النواحي ومنها الدين، فأعاد البهائيون تشكيل مؤسساتهم الروحانية التي تقوم بإدارة ورعاية شؤون البهائيين في العراق في اندماجهم وخدمتهم لمجتمعهم. ومنذ ذلك الحين والبهائيون يمارسون نشاطاتهم المعنية بالاهتمام بتربية الاطفال وإطلاق طاقات الشباب بكل حرية يشاركهم فيها أبناء وطنهم من المكونات الاخرى. كما اعادت هيئة نزاعات الملكية بعض الاملاك البهائية المصادرة بقرار محكمة الثورة المنحل. كما ألغى وزير الداخلية قرار مديرية الاحوال المدنية 358 بتاريخ 1975/7/24 الذي تم بموجبه تجميد قيود البهائيين واستبدال حقل الديانة من بهائي الى مسلم، بصدور كتاب وزارة الداخلية 5441 في

2007/3/19 والذي تم تعميمه على كل دوائر الاحوال المدنية بموجب كتاب المديرية العامة للسفر والجنسية المرقم 5708 في 2007/04/04، وعلى إثر هذا القرار تم عملياً رفع التجميد عن القيود، وصدرت لعدد من البهائيين هويات مثبت فيها حقل الديانة (بهائي).

لقد تم الاعتراف الرسمي بإقليم كردستان العراق بـ "المجلس البهائي لإقليم كوردستان العراق" بموجب الأمر الوزاري الصادر عن وزير الداخلية بالإقليم المرقم 5292 والمؤرخ في 26/ 2/ 2012، حيث تم تثبيت ممثل رسمي للبهائيين في وزارة الاوقاف والشؤون الدينية بالإقليم بموجب الامر الوزاري المرقم 180 والمؤرخ 2015/10/11، اسوة بباقي الاديان من غير المسلمين. وشارك البهائيون رسمياً بمناقشات حراك دستور الإقليم ومشاريع صياغة وتعديل القوانين ذات العلاقة، ومنها قانون 5 لسنة 2015 لحماية حقوق مكونات كوردستان، حيث مازال البهائيون ومع العديد من الجهات المهتمة يحاولون إضافة اسم البهائيين ضمن مكونات الإقليم في القانون.

أما ببغداد، ورغم عدم وجود اضطهاد مباشر للبهائيين، فما زال معتنقو هذا الدين يناضلون من أجل إلغاء القانون رقم 105 لسنة 1970، إضافة إلى إلغاء الكتاب الذي صدر عن الأمانة العامة لمجلس الوزراء العراقي بتاريخ 2007/07/26 وبرقم 1215 الذي تضمن منع دوائر الأحوال المدنية عن تثبيت (بهائي) في حقل الديانة في هوية الأحوال المدنية وتسجيله مسلم. وهو تراجع صارخ في فترة رئيس الوزراء السابق وبتأثير مباشر من الحوزة الدينية بقم/إيران، وهو إجراء مناقض للدستور العراقي. كما خلت الدراسة التي أعدتها دائرة الرصد والأداء وحماية حقوق الإنسان في وزارة حقوق الإنسان في العراق تحت عنوان "أطياف العراق مصدر الثراء الوطني" في العام 2011 من ذكر البهائيين ضمن هذه الأطياف. وهذا الموقف يتناغم مع القرار الصادر عن مجلس الوزراء بعدم تثبيت في حقل الدين (بهائي) للمواطنات والمواطنين البهائيين. وتناغماً مع هذا الاتجاه المناهض للبهائيين تم هدم دار تاريخي للبهائيين بقرار من الإدارة المحلية ببغداد، تحت ذريعة كونه داراً قديمة آيلة إلى السقوط. وقد قُدمت اعتراضات واحتجاجات ضد الهدم، ولكنها لم تنفع. كما وجهت هيئة الدفاع عن ابتاع الديانات والمذاهفي العراق رسالة إلى مديرية الآثار في العراق طالبة منها الحفاظ على هذا الأثر التاريخي لأتباع الديانة البهائية، ولكن كلها لم تجد نفعاً مع القوى الإسلامية السياسية الحاكمة والمتنفذة.

الفصل التاسع

العراقيون اليارسانيون (الكاكائيون)

اليارسانيون جماعة كردية تعتنق الديانة اليارسانية التي هي واحدة من الديانات القديمة التي ظهرت في إيران والعراق في فترة وجود الديانة البارثية القديمة والزرفانية والإيزيدية والزرادشتية. وهي ديانة باطنية. ويطلق على هذه الجماعة الدينية باليارسانية عموماً، وبالكاكائية، بسبب روح التضامن والتكافل بين افرادها دفاعاً عن وجودهم المشترك وانطلاقاً من المبادئ والقيم والأخوة التي يؤمنون بها. ورغم إن هذا الدين غير تبشيري ولا يسعى أتباعه إلى كسب أتباع الديانات القديمة إلى دينهم، إلا إنهم تعرضوا إلى الصراعات ايضاً بفعل مساعي أتباع الديانات الأخرى لكسب أتباع منهم لهم. كتب الأستاذ رجب كاكائيي في رسالة خاصة ملاحظات حول الدين اليارساني جاء فيها بهذا الصدد ما يلي: الديانة اليارسانية ليست تبشيرية بمعنى التبشير عند المسيحيين أو دعوية عند المسلمين، لأنها تعد الأديان الأخرى رسائل إلهية، وهي كلها تأتي من سراج واحد. وكل إنسان صالح يدخل ملكوت الله يسمى (يار). وهذا الشيء يقود إلى الاعتقاد عند البعض بأن هذه الديانة تأثرت بالديانات الأخرى." ومن هنا يمكن معرفة أسباب تعرض اليارسانيين إلى الاضطهاد من قبل الدولة الفارسية التي اتخذت من الدين الزرادشتي ديناً رسمياً لها ومارست الحكم والاضطهاد ضد المسيحيين الجدد حينذاك أيضاً، ولاسيما في صراع الدولة الفارسية ضد الدولة الرومانية، حين تبنت الدولة الرومانية الدين المسيحي.

لم يبق هذا الدين، الذي تميز أتباعه وكبار المسؤولين فيه بالسرية في ممارسة الكثير من طقوس الدين، أو عدم الإعلان الصريح عن المكونات الفكرية أو الفلسفية لدينهم، كما كان عليه في بداية ظهوره قبل ألاف السنين، بل تعرض إلى التلاقح مع ديانات أخرى مثل المسيحية والإسلام لثلاثة أسباب مهمة:

1) **بسبب الخشية من الاضطهاد ورغبة الحفاظ على وجودهم كدين وكمجموعة بشرية متماسكة ومتكافلة فيما بينها؛**

2) بسبب الوجود المكاني والسكن مع أتباع ديانات ومذاهب كثيرة أخرى على مدى التاريخ الطويل لهذا الدين والتأثر بالرموز البارزة في الديانات الأخرى.
3) التحولات الحضارية والثقافية التي كانت تترك أثرها الواضح على حياة وسلوك اليارسانيين.

وخلال القرون والعقود المنصرمة تراجع مصطلح اليارسانية في العراق لصالح مصطلح الكاكائية، ولاسيما في الفترة التي ظهر فيها السلطان إسحاق، الذي أدخل بعض المظاهر الإسلامية على الجماعة اليارسانية، وبالتالي عرفت به الكاكائية حتى الآن، في حين احتفظ أتباع هذا الدين الآخرين بإيران أو أماكن أخرى باسم الدين الأول يارسان. إلا إن ظاهرة جديدة برزت تفرض نفسها في واقع حياة اليارسانيين بإقليم كردستان العراق وحيثما وجدوا في العراق، هي العودة إلى الأصول الدينية وإلى أصل اسم دينهم، وقد نجم عن العوامل التالية:

1. إعلان الكثير من المكونات الدينية الموجود عن طبيعة دياناتها والعودة إلى تسمياتها الأصلية.
2. الاضطهاد الذي تعرضت له جميع المكونات الدينية ذات الأقلية السكانية من قبل قوى الإسلام السياسي ومن التنظيمات الإرهابية المسلحة. "يقول الأستاذ الجامعي لقمان رشيد الكاكائي لموقع (أرفع صوتك) "تعتبر الكاكائية أو اليارسانية من أقدم الديانات الكردية في منطقة الشرق الأوسط، لكن ومع الأسف نحن وقبل تشكيل الدولة العراقية وحتى الآن نتعرض لإبادة ايديولوجية وبصورة مستمرة مبرمجة وممنهجة وليس من قِبل تنظيم الدولة الإسلامية داعش فقط." [112] الخشية من اعتبارهم نحلة مرتدة عن الإسلام، في حين إن دينها لا يمت إلى الإسلام بصلة من حيث الجوهر، ولا يغير من هذا الأمر تبجيلهم لشخصية علي بن أبي طالب باعتباره واحداً من الشخصيات الشجاعة والزاهدة، إضافة إلى شخصية الحلاج، إذ إن في دينهم ما يدفع إلى التصوف وإقامة التكيات، ولا علاقة لهم بالمساجد أو بنائها. ويشير الأستاذ رجب كاكائيي إلى تبجيلهم لشخصيات كبيرة مثل الأمام علي بن أبي طالب أو الحلاج، بقوله: "إن التأثر برموز الديانات الأخرى نابع من مسالة تجسد الأرواح وانتقالاتها".

[112] أنظر: راجع: أمين متين، الكاكائيون: ماذا بعد تهجير الأقليات؟ نتظاهر أنّنا مسلمون ونريد إلغاء الديانة من الهوية، موقع ارفع صوتك، 2015/10/13).

يؤكد السيد أمين متين بصدد اتهامهم بالارتداد عن الإسلام بصواب ما يلي: " أعتقد أنّها ستستمر في المستقبل أيضاً. نحن حُكم علينا بأنّنا (مرتدون) والجميع يعلم ما حكم المرتد في الدين الإسلامي. ومع الأسف هذه السياسة موجودة في فكر المجتمع العراقي والكردستاني. ولحد الآن نحن نتلمس ونشعر أنّ هذه السياسة التعسفية لا تزال موجودة."[113]

لقد تعرض اليارسانيون، (الكاكائيون)، إلى الاضطهاد طوال تاريخهم في علاقتهم مع المسلمين، بسبب إما اتهامهم بالارتداد عن الإسلام لأنهم جماعة مسلمة مرتدة، أو اتهام أعداء لهم بكونهم علي اللهية للنيل منهم، وبالتالي فهم شيعة روافض بالنسبة لأتباع المذهب السني، وهما أبرياء من التهمتين، رغم تبجيلهم لعلي ابن أبي طالب، وهو الذي عبر عن شجاعته ودفاعه عن المسلمين بأن "لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي" وإيمانهم بتناسخ الأرواح.114

لقد تعرض دين اليارسانيون إلى التشويه والتحريف، إضافة إلى تفسيرات كثيرة حول طبيعة الديانة، وهي بريئة مما لحق بها من اتهامات، ولكن الدعاية المضادة لهم تؤثر في المحصلة النهائية وتزيد من الشكوك غير المبررة بهم ومن ثم الإساءة لأتباع هذا الدين. وقد كتب الدكتور رشيد الخيون في كتابه عن "الأديان والمذاهفي العراق" بعد لقاء له مع الشخصية اليارساني فلك الدين الكاكائي ما يلي:

"أكد لي المثقف المعروف، وزير الثقافة بإقليم كردستان–العراق، فلك الدين كاكائي، (ت 2013) أن للتصوف أثره المباشر على وجود الكاكائية، وأن خارطة الأديان والمذاهب بالمنطقة الكردية لا تخرج عن إطار الطرق الصوفية، فالشبك كانوا بكتاشية، ثم تحول منهم قسم كبير إلى السنة، وقسم آخر إلى الشيعة، وهناك تشابك بينهم في المفاهيم. وحتى استخدام الآلة الموسيقية (الطنبور) هي واحدة لدى الكاكائية، والشبك، والإيزيدية، واستخدامها يأتي تحت التأثير الصوفي؛ وللكاكائية عدة أسماء منها: الصارلية،115 والكاكائية، وأهل الحق. عدا ذلك أنهم لا يقولون عن أنفسهم (علي إللهية)، بل الآخرون يطلقون عليهم هذا الاسم. إلا إن الحقيقة هم لا هذا ولا ذاك، وأن اسمهم الحقيقي جاء من مفردة كردية قديمة جداً هي (يارسان)، ويار القديمة تعني

---

113 أنظر: أمين متين، المصدر السابق نفسه.

114 أنظر: د. رشيد الخيون، الأديان والمذاهفي العراق، الجزء الثالث، الكاكائيي مصدر سابق.

115 كتب لي الأخ الأستاذ رجب كاكائيي بهذا الصدد ما يلي: "الصارلية ليست تسمية دينية بل عشائرية مناطقية، واعتقد إنها المقصود بالسكان الذين نزحوا من قلعة سارلو في إيران بعد أن هاجمهم الاتراك البيات فتركوها ونزحوا إلى العراق واستقر البعض منهم على جانبي نهر الزاب الكبير إلى الشمال من الكوير". ك. حبيب

الله، وتعني أيضاً المعشوق، فتكون "الله وحده المعشوق."[116] (اليارساينيون جماعة دينية موحدة وغالبيتهم كرد، كما يمكن أن يؤمن بهذا الدين من غير الكرد. وهذا المصطلح يتكون من كلمتين هما يار تعني الله، وسان تعني القائد أو الكبير، وكلاهما يعني الله العظيم، الله وحدة المعشوق. والتوحيد برز في الديانات القديمة أيضاً، وبجواره ظهر تعدد الآلهة في حضارات سومر وأكد وآشور وكلدان، والحضارة البابلية عموماً.

الكتاب الديني لليارسانيين هو سرانجام أو سنچنار، أو "كتاب الخزانة" والمكتوب حالياً باللغة الكردية باللهجة السورانية، ويتضمن تعاليم الدين الأساسية، وكان تناوله بين كهنة الدين فقط. ويشار إلى أنهم يعملون على وفق أربع قواعد هي: "الطهارة، الصدق، الفناء، والعفو.

1- الطهارة: حيث على كل واحد منهم أن يكون طاهرا، أي نظيفا في الظاهر والباطن، ويجاهد النفس بجعلها نظيفة، سواء في الجسم، أو الروح، اللباس، الفكر، أو العمل.

2- الصدق: أي السبيل الصحيح، والقيام بما امرنا الله به.

3- الفناء (في الله): بمعنى الابتعاد كليا عن التكبر والغرور والأنانية وهوى النفس، والرذائل الأخلاقية، لكي يتم التسامي إلى الحق تعالى.

4- العفو: أي المغفرة، والإحسان، حيث يجب على كل إنسان مد يد العون والمساعدة للمحتاجين، لكي يكسب رضى الله ومحبته." (راجع: الكاكائية من فرق العراق، موقع الراصد، 2006/05/14).

يؤمن الكاكائيون بتناسخ الأرواح ويحترمون يوم الاثنين ويوم الجمعة ولهم أدعيتهم التي يتلونها في هذين اليومين، كما أنهم يحرمون الخمر والزواج بأكثر من امرأة واحدة، ويتم الزواج برضى الطرفين. وفي حالة الوفاة أو سبب معقول يمكن الزواج بامرأة ثانية، وألّا يتزوج الشيخ ابنة مريده، ولا يتزوج المريد ابنة شيخه. أما الرجال فلا يجوز لهم حلق شواربهم، تيمناً بما كان يمارسه الشخصية الإسلامية المبجلة لديهم علي بن أبي طالب.

لقد عانى الكاكائيون منذ تأسيس الدولة العراقية من تهميش متعمد، فاسم دينهم لم يذكر في الدستور العراقي الأول إلى جانب الديانات الأخرى، كما أغفلتهم جميع الدساتير اللاحقة، إضافة إلى إنهم معرضون باستمرار لاعتبارهم مسلمين مرتدين، في حين إن دينهم لا صلة له بالإسلام من قريب أو بعيد، وهم يؤكدون على ذلك بشكل واضح، فيما عدا ما يجمع الديانات كلها، سواء ما يطلق عليه بالسماوية أم الديانات الوضعية من أساس واحد.

---

[116] د. رشيد الخيون، الأديان والمذاهفي العراق/ مصدر سابق، ص 95.

الفصل العاشر

الاستنتاجات والمعالجات

أولاً: الاستنتاجات

يشير الاستعراض التحليلي لأوضاع أتباع المكونات الدينية والمذهبية العراقية إلى واقع علاقات شديدة الاختلال مع النظم الحاكمة التي تبنت الإسلام ديناً لها وادعت أنه دين الدولة، في حين ليس للدولة دين أو مذهب، فهي شخصية معنوية، على امتداد تاريخ العراق، ومنه التاريخ الحديث والمعاصر، فيما عدا فترات قليلة جداً. إن هذه الظاهرة السلبية، المنافية للعلاقات الإنسانية المنشودة والمناهضة للائحة حقوق الإنسان الدولية وكل اللوائح والمواثيق الدولية بأجيالها الثلاثة، إزاء اتباع القوميات وأتباع الأديان والمذاهب الأخرى من جانب النظم الحاكمة والحكام المسلمين وبعض الجهات الإسلامية السياسية في العراق، أصبحت منذ سقوط النظام البعثي الصدامي، سائدة في العراق . وأدت إلى وقوع جرائم بشعة كلفت حياة مئات الآلاف من البشر وما تزال تهدر حياة المزيد من الناس وتفرض الهجرة على المزيد من العراقيات والعراقيين من أتباع الأديان والمذاهب الأخرى بشكل خاص، وكذلك من الشيعة والسنة المسلمين. فأين تكمن أسباب هذه الظواهر؟

توصلت الدراسة عبر المتابعة والنقاشات مع أتباع الديانات والمذاهب إلى إن الأسباب وراء ذلك تكمن في العوامل الأساسية التالية:

أولاً: إن الدين الإسلامي، وأن اعترف بالديانات الكتابية أو الإبراهيمية، إضافة إلى المندائية والزرادشتية، فأنه في المحصلة النهائية رفض كل الديانات الأخرى واعتبر الإسلام هو دين الجميع، ومن لا يؤمن به فهو خارج عن الإسلام أو كافر. والدليل ورد في القرآن الكريم ذاته وفي الشرائع الإسلامية المتعددة. ومع إن البشر المسلم ليس كله قد تعامل مع أتباع الديانات الأخرى بهذا المنطق، إلا إن خلفية التفكير الديني تبقى كذلك، وهو أمر بالغ الضرر في علاقات المسلمين والمسلمات مع أتباع الديانات الأخرى. لم يكن موقف أكثر الديانات أتساعاً يختلف عن موقف الإسلام منها، ولكن الديانات الأخرى قد شهدت التنوير الديني والاجتماعي وتخلى أتباعها عن الادعاء بذلك وأكدوا على حرية الإيمان بأي من الديانات الموجودة على أرض الواقع الدولي.

والقوى المتطرفة من أتباع الدين الإسلامي يكفرون صراحة أتباع بقية الديانات ويعملون بكل السبل المتاحة على فرض الإسلام عليهم أو فرض الجزية عليهم. أما من لا يعتبر من أهل كتاب فهم إما أن يدخلوا الإسلام أو أن يقتلوا. ولا بد من الإشارة إلى إن كل الأديان الإبراهيمية تؤمن بوجود الجنة والنار، الجنة للمؤمنين المطيعين، والنار للمذنبين وغير المطيعين أو المخالفين. وعبر هذه الجزرة والعصا يسعى الكهنة وشيوخ الدين إلى فرض الطاعة التامة والسيطرة على الأتباع، والتبشير بدينهم دون غيرهم من الديانات.

ثانياً: إن الدساتير التي وضعت منذ العام 1925 ومروراً بالدستور المؤقت لعام 1958 وبقية الدساتير المؤقتة، ثم الدستور الأخير لعام 2005 كرست رؤية خاطئة تشير إلى أن الإسلام دين الدولة. من هنا يبدأ التمييز والتهميش والإقصاء أو محاولة فرض دين الأكثرية وغيرها إزاء أتباع الديانات الأخرى. ويكمن خطأ هذه الرؤية في حقيقة أن الدولة لا دين لها، فهي شخصية معنوية لا غير. وبالتالي أسست قاعدة خطيرة وغير صائبة ومؤذية لأتباع بقية الديانات.

ثالثاً: إن النظم السياسية التي أقيمت على أرض العراق قد مارست، وما تزال تمارس، سياسات تمييز وتهمش وإقصاء إزاء أتباع الديانات الأخرى، رغم إنها لم تعامل المسلمين والمسلمات بنهج ديمقراطي أيضاً، ولكن معاناة أتباع الديانات الأخرى كانت أكبر ومضاعفة. وهذه المسألة مرتبطة بدورها بطبيعة علاقات الإنتاج التي سادت في العراق وما تزال هي الفاعلة والمنتجة لهذه النظم السياسية والاجتماعية المختلة والمريضة. فهي نظم تتنكر للحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وحقوق القوميات وحقوق أتباع الديانات والمذاهب في تعاملها الفعلي، رغم مصادقتها على الكثير من اللوائح الصادرة عن الأمم المتحدة ولجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة.

رابعاً: ساهمت المؤسسات الدينية الإسلامية، السنية منها والشيعية، بدور سلبي كبير في اختلال شديد للعلاقة الإنسانية الضرورية بين المسلمات والمسلمين مع اتباع الديانات الأخرى. ويجد ذلك تعبيره في الشرائع التي وضعها المشرعون والفقهاء المسلمون، وفي أسس التربية الدينية، سواء المنزلية منها أو المدرسية، وفي الكتب الدراسية وكتب الدين والمذاهب المنتشرة في أسواق العراق ومكتباته. وهي تربية لا تحض على العقلانية والمساواة والتفاعل والاعتراف بالآخر والتسامح في الرؤى الفكرية المتباينة، بل كلها كانت وما تزال تدعو إلى التمييز وإبراز الاختلاف وتكفير الآخر. وهي ثقافة رجعية مؤذية وممزقة لوحدة الشعب ونسيجه الوطني، لا تصدر عن المؤسسات الدينية العراقية فحسب، بل وعن مؤسسات وحوزات دينية بالدول العربية والدولة

الإيرانية. إنها رؤية ذات مضمون عنصري ينطلق من قاعدة ألـ "أنا" والـ "آخر"، أنا الجيد والآخر سيء، ديني جيد ودين الآخر سيء،، إنها رؤية تنشئ أرضية صالحة للصراع والنزاع وسيول من الدماء.

خامساً: نتيجة كل ذلك تعرض أتباع الديانات والمذاهب إلى حملات اضطهاد وقمع وتشريد وتهجير أو قتل وسبي واغتصاب واختطاف وابتزاز ونهب وسلب في فترات مختلفة من تاريخ العراق المديد وفي العراق المعاصر. كان أخرها وأكثرها قسوة وعنفاً وإيلاماً تلك التي حصلت في أعقاب سقوط الدكتاتورية عام 2003 وإقامة النظام السياسي الطائفي في ظل الاحتلال الأمريكي، ومن ثم تحت تأثير التدخل الإيراني في الشأن العراقي وتدخل دول الجوار الأخرى. وكانت الكوارث شديدة ابتداء من صراع المليشيات الطائفية المسلحة وقتلها البشر على أساس الهوية الدينية والمذهبية، ولاسيما ضد أتباع الديانات الأخرى، ومن ثم الصراع بين الجماعات المسلحة الشيعية والسنية، ثم اجتياح الموصل من قبل عصابات داعش واحتلالها نينوى ومحافظات غرب العراق وما حصل فيها من إبادة جماعية وضد الإنسانية.

سادساً: كما إن الحكومات العراقية المتعاقبة منذ العام 1963 حتى الوقت الحاضر، لم تمارس، ولاسيما منذ الإطاحة بحكم البعث الشوفيني، أي سياسات أو إجراءات فعلية وعملية مسؤولة لحماية أتباع الديانات والمذاهب الأخرى في العراق، بل تشير الكثير من الدلائل إلى إنها انخرطت في عمليات الدفع باتجاه استخدام الضغط والاضطهاد والتهجير الفعلي القسري لأتباع الديانات الأخرى، مما يؤكد وجود خطة غير معلن عنها، ولكنها قائمة، تعمل على تهجير أكبر عدد ممكن من اتباع الديانات الأخرى والسعي للخلاص من وجودهم أصلاً، وهو الخطر الذي يفترض تشخيصه لمواجهته والعمل على إفشاله محلياً إقليمياً وعلى مستوى السياسة الدولية. ولا بد من الإشارة هنا إلى إن هذا الموقف المناهض لأتباع الديانات الأخرى يحمل في جوهره موقفاً مناهضاً للمذاهب الأخرى في الدين الإسلامي، أي موقف الأحزاب الإسلامية السياسية الشيعية منها والسنية ضد بعضها الآخر والتي يسعى كل منها للخلاص من الثاني بالسبل المتوفرة لديه وبدعم من دول الجوار. وهي وجهة تدميرية للشعب بكل مكوناته القومية والدينية والمذهبية وللبلد في آن واحد.

سابعاً: لقد كانت حصيلة ذلك الهجرة الجماعية لمئات الآلاف من العراقيين والعراقيات من أتباع الديانات الأخرى إلى خارج العراق، ونزوح أكثر من مليون ونصف المليون من البشر من مناطق

سكناهم إلى مناطق أخرى من العراق، وموت مئات ألوف أخرى بسبب تلك الصراعات والنزاعات والاجتياح، ولاسيما من أتباع الديانات الأخرى من غير المسلمين.

ثامناً: لقد برز، منذ سقوط الدكتاتورية الغاشمة في العام 2003 وإقامة النظام السياسي الطائفي، خطر جديد يمس وجود أتباع الديانات الأخرى، وكما حصل في السابق بالنسبة للعراقيين والعراقيات اليهود؛ حيث خسر العراق ما يقرب من 130 ألف مواطنة ومواطن من اليهود، إذ إن أعدادهم قد تقلصت إلى حدود الربع بالنسبة للمسيحيين وإلى حدود النصف بالنسبة للإيزيديين، وإلى حدود الخمس بالنسبة للمندائيين. ولا يمكن إيقاف هذا الخطر ما لم يتحقق تغيير فعلي في نظام الحكم وتغيير نوعي في وعي المسلمين والمسلمات إزاء أتباع الديانات والمذاهب. تاسعاً: إن الموقف الفكري والسياسي الخاطئ من جانب الحكومات العراقية المتعاقبة الذي عبر عن أيديولوجية إسلامية سياسية، سواء أكانت معتدلة أم متطرفة، من جهة، والادعاء بأن دين الدولة هو الإسلام بما يسمح بممارسة التمييز والتهميش والإقصاء من جهة ثانية، والممارسة الفعلية المناهضة لأتباع القوميات والديانات الأخرى من جهة ثالثة، قد أدت كلها إلى نشوء نزوع قومي وديني ومذهبي شديد. ثم تحول إلى نعرة ملموسة لدى الكثير من الناس ممن لم يكن يفكر بمسائل قومية أو دينية أو مذهبية. وأصبحت جمهرة غير قليلة من الناس تتنكر أو ترفض القومية التي كانت حتى الأمس القريب محسوبةً عليها، وتطالب اليوم باعتبارها قومية خاصة بها. إن هذه الظاهرة الجديدة لا يجوز إدانة المواطن أو المواطنة اللذين اتجها صوب التفكير بقضايا لم يفكرا بها من قبل، بل الإدانة يجب أن تتوجه صوب تلك الحكومات الشوفينية والطائفية التي مارست وما تزال تمارس سياسات شوفينية وطائفية دفعت بالناس للتفكير بهذه الوجهة.

ثانياً: سبل معالجة التجاوزات على حقوق أتباع الديانات والمذاهب

تنبع المشكلات المعقدة لأتباع الديانات والمذاهب في العراق من جانبين:

الأول: هو ديني ومذهبي ناشئ عن عدم الاعتراف فعلياً، رغم ما ورد في الدستور بحق أتباع الديانات والمذاهب في وجودهم وممارساتهم لدياناتهم ومذاهبهم وطقوسهم الدينية، والتمييز الذي يواجهونه يومياً في دوائر الدولة أو في الشوارع أو من على المنابر أو في التلفزة والإعلام الحكومي والخاص.

الثاني: هو قومي، إذ غالباً ما تكون هذه المكونات الدينية ذات أصول قومية أخرى غير القومية العربية، وبالتالي فهم يتعرضون للتمييز القومي أيضاً.

وقد مرَّ العراق بفترات صعبة عانى أتباع المكونات الدينية والقومية الأخرى صوراً مرعبة من التمييز القومي والديني المضاعف والذي جئنا على بعضها في هذه الدراسة المكثفة، إضافة إلى وقائع من عمليات الإبادة الجماعية.

إن معالجة هاتين المشكلتين، القومية والدينية، وما جاء في الاستنتاجات، يرتبط عضوياً بطبيعة نظم الحكم القائمة، إذ شهدت البلاد حتى الآن شكلين من النظم السياسية، قومية محافظة، ومن ثم قومية متطرفة، ودينية يمينية مهيمنة ومتطرفة، في نهجيهما وسياساتهما إزاء أتباع الديانات والمذاهب الأخرى وإزاء القوميات الأخرى. أي إن العراق لم يشهد نظماً سياسية ديمقراطية وعلمانية ينظمها دستور مدني علماني ديمقراطي في حياته السياسية والاجتماعية عموماً، فيما عدا فترة قصيرة جداً برزت في أعقاب ثورة تموز 1958 وفي إطار دستور مؤقت، ثم تبخر الاعتراف والاحترام بأتباع الديانات والمذاهب الأخرى على وفق أسس ديمقراطية وعلمانية سليمة منذ العام 1963 حتى الوقت الحاضر. ولهذا يمكن استبعاد احتمال الوصول إلى علاقات إنسانية من جانب نظام الحكم السياسي الطائفي الراهن إزاء أتباع المكونات الدينية والقومية الأخرى، بما يبعد عنهم تكرار الشرور والكوارث التي تعرضوا لها في العقود المنصرمة،

ولاسيما في أعقاب إسقاط الدكتاتورية البعثية الغاشمة في العام 2003 بحرب خارجية وبتحالفات دولية نظمتها وقادتها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا خارج الأطر والأسس الشرعية الدولية، وأقامت على أنقاض ذلك النظام الشوفيني، نظاماً طائفياً محاصصياً مستبداً وممزقاً للوحدة الوطنية العراقية.

إن المعالجة الفعلية لهذه الأوضاع تستوجب ، دون أدنى ريب ، الخلاص من الشوفينية والطائفية السياسية في الحكم وفي المجتمع وفي التربية والتعليم والإعلام. وهذه المسألة تتطلب وجود نظام سياسي مدني ديمقراطي في دولة تعتمد العلمانية الديمقراطية وترفض بحزم ومسؤولية الربط بين الدين والدولة وبين الدين والسياسة، أي تحقيق الفصل التام بينهما. وإذا ما تحقق ذلك عندها يمكن وضع برامج فكرية وعملية لمواجهة الفكر القومي المتشدد والطائفي المتعصب في مختلف المجالات، ابتداءً من التربية الإنسانية في رياض الأطفال، ومروراً بالمدارس الابتدائية والاعدادية والكليات والجامعات والمناهج الدراسية، وفي المؤسسات والمنشآت والمعامل، وفي الإعلام والثقافة، وكذلك في التربية المنزلية. إنها عملية معقدة وطويلة الأمد وترتبط عضوياً بالتحولات التي لا بد من تحقيقها في البنية الاقتصادية والاجتماعية للاقتصاد والمجتمع العراقي، وهما بنيتان تعانيان منذ أمد طويل من تخلف وتشوه شديدين يتجليان في وعي الإنسان وفي غياب عملية التنوير الديني والمذهبي والاجتماعي وهيمنة الفكر الديني المتخلف والرجعي المشوه لفكر الإنسان والمزيف لإرادته والناهب لحقوقه.

إن النظام الديمقراطي العلماني المنشود يعني جملة من الأمور المهمة، إضافة لما ذكر في أعلاه:

**** الاعتراف بمبدأ المواطنة الواحدة، الحرة والمتساوية، المواطنة المشتركة لجميع الناس، المتساوية في الحقوق والواجبات وأمام القانون، واحترام الهويات الفرعية دون أن يكون لأي منها اليد الطولى على بقية الهويات الفرعية، بعكس ما هو عليه الوضع الراهن. فهوية المواطنة العراقية هي التي يجب أن تسود.**

**** إن من واجب المسلمين والمسلمات، دع عنك العالم الإسلامي كله، إجراء تغيير جذري في طريقة أو أسلوب تفكيرهم إزاء أتباع الديانات والمذاهب الأخرى وعلاقتهم بهم. أي إن من واجب المسلمين والمسلمات الاعتراف بوجود آخرين في الوطن الواحد يؤمنون بديانات ومذاهب أخرى وينحدرون من قوميات أخرى ولهم لغات أخرى، كما لا بد من احترام خصوصيات هؤلاء بعيداً عن**

الإساءة لهم أو إلحاق الأذى بهم أو ممارسة التمييز بحقهم، فهم جميعا مواطنون ومواطنات من درجة واحدة لا غير.

**** وضع قوانين ملزمة تُحرم العنصرية والطائفية والتمييز القومي والديني والمذهبي والفكري أو الفلسفي، وتعاقب من يحاول إثارة الفتنة وإشاعة التمييز والصراع الديني والمذهبي والفلسفي أو القومي.**

**** العراق وطن جميع ساكنيه، وليس لأحد فضل على الآخرين، بغض النظر عما إذا كان ينتمي لقومية أو دين بأكثرية أو اقلية سكانية، إذ لا يجوز أن يكون لهذا التباين في الكثرة أو القلة العددية التأثير، بأي شكل كان، على حق المواطنة والمساواة أمام القانون أو الحصول على امتيازات أو المعاناة من التمييز أو أية صيغة سلبية أخرى.**

**** إن الحوار والتفاهم والتضامن والاحترام المتبادل بين اتباع المكونات القومية والدينية والمذهبية أو الفكرية هو الأسلوب الأمثل الذي ينبغي أن يسود في العلاقات بين الجميع، وإدانة كل ما يخالف ذلك.**

**** من واجب الحكومة العراقية أن تقدم الاعتذار لكل الذين عانوا من التمييز القومي أو الديني أو المذهبي أو بسبب الحروب التي شنَّتها النظم السياسية التي حكمت العراق. وإن لم يحصل فلا بد أن يحصل ذلك بعد التغيير المنشود الذي يفترض أن يحصل في نظام الحكم.**

**** إن من واجب نظام الحكم الديمقراطي إعادة الشرعية إلى الدولة العراقية، والتي يفترض أن تجد تعبيرها في عدد كبير من السياسات والإجراءات التي تشعر المواطن بأنه يعيش بين أهله وشعبه متساوٍ في الحقوق والواجبات ويمارس حريته الكاملة دون مضايقة من أحد، ويمتلك الحق في العمل والعيش الكريم ويستعيد الأرض التي فقدها بسبب سياسات النزوح والتهجير والتغيير الديمغرافي، أو التعريب أو التكريد، أو أي نهج آخر مناهض لحقوق الإنسان وحقوق القوميات وأتباع الديانات والمذاهب.**

**** كما لا بد من إعادة تعمير ما خربته الحرب وتعويض الناس وإعادة الاعتبار والتعويض لمن تعرض لأي شكل من اشكال التمييز والإساءة او القتل والتعويق...الخ.**

**** تأمين الحماية الضرورية والحازمة لأتباع الديانات والمذاهب من متطرفي الإسلام السياسي من شيعة أو سنة، إذ إن ما جرى لهم في السنوات المنصرمة لا بسبب غياب الحماية فحسب،**

بل وبسبب تأييد القوى الحاكمة وأحزابها السياسية لنهج التمييز والإقصاء والتهجير أو حتى القتل.

**** لا يمكن لبلد متعدد القوميات والديانات والمذاهب والأفكار أو الفلسفات أن يعيش بأمن وسلام وتضامن وتعاون واحترام متبادل في بلد يدعي أن الإسلام دين الدولة، ودين الأكثرية المسلمة، ولا يحترم اتباع الديانات الأخرى أو يمارس التمييز بين أبناء وبنات البلد الواحد. فلا بد من بناء دولة المواطنة الحرة والمتساوية والموحدة والمشتركة، دولة ديمقراطية علمانية ومجتمع مدني ديمقراطي حر وأن يحقق المساواة التامة بين الإناث والذكور.**

**** يتطلب من الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ومنظمات المجتمع المدني وحقوق الإنسان أن تقف بوجه الممارسات المخلة بحقوق أتباع الديانات والمذاهب وإدانتها واتخاذ الإجراءات الكفيلة بمعاقبة نظام الحكم والقوى والأحزاب والمليشيات التي تمارس مثل هذه السياسات، إضافة إلى حرمان العراق من أي مساعدة دولية حين لا يتصدى لمثل هذه الاتجاهات العدوانية.**

**** إن إقامة النظام المدني الديمقراطي في دولة تفصل بين الدين والدولة يفترض أن يمارس سياسة اقتصادية واجتماعية تساهم في مكافحة التشوه والتخلف والريعية النفطية في الاقتصاد العراقي، ومحاربة البطالة والتشرد والفقر والتمايز المتسع في الدخل ومستوى المعيشة، وأن تعمل لنشر العدالة الاجتماعية بين المواطنات والمواطنين بغض النظر عن هوياتهم الفرعية.**

برلين في 2019/02/18

****

المراجع والمصادر

– إبراهيم عباس، حقيقة العهدة العمرية.. والفرق بينها وبين {الشروط العمرية« كشف المغيب من خطوطها وموقف المؤرخين منها، موقع المدينة، 2012/2/10.

– أبرم شييرا، قوات الليفي العراقية في الوثائق البريطانية العسكرية، موقع عنكاوة، 2010/10/18.

– أرشاك بودليان، "شهادات غربية عن الإبادة الأرمنية في الإمبراطورية العثمانية"، دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، سانا، دمشق 2016.

– آمنة محدادي، فلسفة الدين الزرادشتية، موقع الحوار المتمدن، المحور :الفلسفة، علم النفس، وعلم الاجتماع **العدد 4744، 2015/03/10.**

– أميل كوهين، مدارس الأليانس اليهودية في العراق، مؤسسة الحوار الإنساني، لندن، في 7 شباط/فبراير 2017.

– أمين فرحان جيجو، القومية الإيزيدية جذورها – مقوماتها – معاناتها، بغداد، 2010.

– أمين متين، الكاكائيون: ماذا بعد تهجير الأقليات؟ نتظاهر أنّنا مسلمون ونريد إلغاء الديانة من الهوية، موقع ارفع صوتك، 2015/10/13).

– عزيز سباهي، أصول المندائية (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية، دار المدى للثقافة والنشر، منشورات المدى، دراسات 18، ط 1، دمشق –1996.

– أياد العطار، أبراج الصمت.. تنشر جثث الموتى لتأكلها النسور!، موقع كابوس، أخذ المقتطف بتاريخ 2014/05/21.

– بدر الرحال، الأرمن تاريخ عريق في العراق، موقع ستار تايمز، 2009/01/29

– توفيق زرار، موضوعات حول تاريخ اليزيدية واليزيديين، مجلة لالش. العدد 5/ 1995. دهوك ص 83.

– جميل حنا، مذابح إبادة الآشوريين في هكاري، الحوار المتمدن، العدد 4472 بتاريخ 2014/06/03.

– جي. كلبرت براون، قوات الليفي العراقية 1915–1932، مصدر سابق، ص 287.حامد عبد الصمد،

باحث في الإسلام، هل الإسلام مقتبس من الزرادشتية؟ ستصدم عندما تعرف الحقيقة عقائد وشرائع الاسلام مسروقة من الزرادشتية.. معقول!، YouTube، بتاريخ 2018/04/11.
– خالد علوكة، تناسخ الأرواح، موقع الحوار المتمدن، محور العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني، العدد 3890، في 2912/10/24.
– خزعل الماجدي، جذور الديانة المندائية مطبعة صفاء حسين الناصر، بغداد، 1997.
– خليل عبد الرحمن، "أفستا: الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، روافد للثقافة والفنون، 2008.
الدستور العراقي لسنة 2005.
– رمضان اسحق الزيان، د. روايات العهدة العمرية ـ دراسة توثيقية. شبكة الدفاع عن السُنة.
– علي الوردي، د. وعاظ السلاطين، دار كوفان–لندن، 1995، ص 209.
الدوري، عبد العزيز، دكتور، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية،
الديانة الزرادشتية، موقع آريايى أم، أخذ المقتطف بتاريخ 2018/05/21.
– رشيد الخيون د.، الأديان والمذاهفي العراق: ماضيها وحاضرها، مركز المسبار، دبي، 2016.
– رشيد الخيون، المسيحية والإسلام.. طيمثاوس الأول والخليفة المهدي، جريدة الاتحاد، 6 شباط/فبراير 2019).
– أبرم شيبرا، قوات الليفي العراقية في الوثائق البريطانية العسكرية، موقع عنكاوة، 2010/10/18.
– أرشاك بودليان، شهادات غربية عن الإبادة الأرمنية في الإمبراطورية العثمانية، دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، سانا، دمشق 2016.
– الشيخ الترميذة علاء النشمي، أسئلة وأجوبة عن الديانة المندائية على موقع الهوية الآرامية، أخذ المقتطف بتاريخ 2018/03/21.
– العزاوي، عباس. تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم. بغداد. مطبعة بغداد. منصف الثلاثينات من القرن العشرين. ص 84–90.
– الليدي دارور، الصابئة المندائيون، ترجمة نعيم بدوي وغضبان الرومي، دار المدى للثقافة والنشر، ط 2، بغداد 2006.
– بدر الرحال، الأرمن تاريخ عريق في العراق، موقع ستار تايمز، 2009/01/29.
– توفيق زرار، موضوعات حول تاريخ اليزيدية واليزيديين، مجلة لالش. العدد 5/ 1995. دهوك.
– جي كلبرت براون، عميد عسكري، قوات الليفي العراقية 1915–1932، ترجمة الدكتور مؤيد إبراهيم الوندواوي، ومراجعة رفيق صالح بنكه ي ژين، السليمانية 2006.

– زهير كاظم عبود، الزرادشتية، بغداد، 2015، دون ذكر دار النشر، ص 21/20.

– زهير كاظم عبود، الشبك، سلسلة كتب سرمد العربي، طبعة أولى، السليمانية، إقليم كردستان العراق، 2006.

– سعد سلوم، مائة وهم عن الأقليات الدينية في العراق، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والإعلامية، بيروت–بغداد، 2015.

– سيّار الجميل، بروفيسور دكتور، الأرمن العراقيون: الخصوصيّة والجاذبيّة والأسرار الحيويّة، الحلقة الثالثة: دياسبورا وطن بلا بديل!، طيف اجتماعي عراقي حيوي، الموقع الإلكتروني للدكتور سيار الجميل، في 2010/10/31.

– صباح كنجي، اسئلة عن الإيزيدية، موقع بحزاني، 2012/02/28.

– صباح كنجي، الاحصاء والمعلومات عن الإيزيدية والاقليات منذ تشكيل الدولة العراقية. الحوار المتمدن.

– صبري المقدسي، الزرادشتية: المنشأ والجذور والعقائد الروحية، موقع الحوار المتمدن، المحور: دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات، العدد، 4083، في 2013/05/05.

– طه العاني، نشأة المدارس في العراق/ شبكة زدني للتعليم، 8 شباط/فبراير 2015.

– عبد الجبار العتابي من بغداد، جدل في العراق حول تأسيس مجلس الديانة الزرادشتية، إيلاف، 2015/05/06.

– عربي فرحان الخميسي، المركز القانوني للصابئة المندائيين في العراق، الجمعية المندائية في المهجر، بتاريخ 21 نيسان/أبريل 2013.

– فائز الحيدر، الصابئة المندائيون والإرهاب عبر التأريخ، موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر، 7 شباط/فبراير 20139.

– فيليب سيرنج، رمزية العناصر الأربعة، ترجمة عبد الهدي عباس، موقع غاستون باشلار Gaston Bachelard.

– كاظم حبيب، د. الإيزيدية ديانة عراقية شرق أوسطية قديمة، دار نينوى، دمشق، 2017.

– مارتن شو، الإبادة الجماعة، نقله إلى العربية محيي الدين حميدي، الطبعة العربية الأولى، الرياض، 2017.

– مجدي خليل، القضية الأرمنية بعد مائة عام من الإبادة، الموقع الإلكتروني للتنظيم الأرامي الديمقراطي"، 2017/1/1.

– محمد اسين، فكرة عن تناسخ الأرواح وإمكانية التجسد من جديد، موقع أصوات مهاجرة، شؤون ثقافية، 2016/07/08.

- موفق فتوحي، دكتور. مسيحيو العراق عبر التاريخ، الجزء الأول والثاني. نشر في موقع منتديات كرملش لك. بتاريخ 2009/2/9.
- نافع البرواري، أحوال المسيحيين في عهد الخلفاء المسلمين، موقع عنكاوة، 2016/12/17.
- هامبرسوم أغباشيان، ملخص عن "تاريخ الأرمن في العراق"، رسالة خاصة وجهت من السيد أغباشيان إلى الكاتب تضمنت موجز تاريخ الأرمن في العراق، وهي محفوظة في أرشيف الكاتب بتاريخ 24 كانون الثاني/يناير 2017.
- هوكر طاهر توفيق، الكُرد والمسألة الأرمنية 1877-1920. دار الفارابي - بيروت، ودار أراس - أربيل، إقليم كردستان العراق، 2014.
- يحيى بن زكريا، دراشة أديهيا، مواعظ وتعاليم، بغداد، الطبعة الأولى، 2001م.

كتب دينية ومواقع الكترونية وتقارير

- أبستاق (الأفيستا)، موقع الموسوعة الحرة، ويكبيديا. 2018/05/21.
- اتفاقية منع ارتكاب جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها في 1948/12/09، موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر ICRC، اخذت المواد الخمسة من الاتفاقية بتاريخ 2017/08/17.
- اتفاقية منع ارتكاب جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها في 1948/12/09، موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر ICRC، اخذت المواد الخمسة من الاتفاقية بتاريخ 2017/08/17.
- الأمم المتحدة، البرلمان الأوروبي، ومجلس أوروبا.
- التقرير السنوي عن حالة حقوق الإنسان في العراق لعام 2016 الصادر عن الجمعية العراقية لحقوق الإنسان في الولايات المتحدة الأمريكية.
- الزرادشتية، موقع الميثولوجيا والتاريخ، (الآي 44 من الجاتها ياسنا)، مدونة تعنى بعرض ودراسة الميثولوجيا والتاريخ والأديان،
- الزردشتية تعود إلى كردستان بسبب التطرف الديني، موقع السومرية نيوز، بتاريخ 2 حزيران/يونيو 2015.

- القرآن الكريم/ سورة آل عمران. دار الجيل-بيروت،

- القرآن الكريم، طبع ونشر دار الجيل-بيروت: سورة آل عمران، مدنية؛ سورة الأنعام، مكية؛ سورة العنكبوت، مكية؛ سورة المائدة، مدنية.

- الكنائس الأرمنية في العراق، موقع أزتاك العربي للشؤون الأرمنية، 5 شباط/فبراير 2013.

- الكنائس الأرمنية في العراق، موقع أزتاك العربي للشؤون الأرمنية، 5 شباط/فبراير 2013.

- ديوان أوقاف الأديان المسيحية والإيزيدية والصابئة المندائية، العراق نصرت مردان 4 كانون الأول/ 2010).

- زرادشت (ZOHR-oh-as-tər) Zoroaster (Avestan: Zaraθuštra)، موقع المعرفة، 2018/05/17.

- ساسانيون، الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، أخذت المعلومات بتاريخ 2018/05/23.

- مثرا، موقع المعرفة الإلكتروني، أخذ المقتطف بتاريخ 2018/05/17.

- مجزرة صوريا، موقع Nala4U.com، 17 أيلول/سبتمبر 2016.

- - مشروع دستور اقليم كوردستان – العراق، المجلس الوطني الكردستاني، بتاريخ 2006/09/24.

- منتديات برق، موقع على الإنترنيت، أخذ الحديث بتاريخ 2016/8/6.

- موقع رصيف 22، عشر حقائق حول الإبادة الجماعية.

- موقع سفارة جمهورية أرمينيا في العراق، معلومات عامة عن الجالية، بتاريخ 2017/1/1.

- نص العهدة العمرية من كتاب لأبن القيم الجوزية "أحكام أهل الذمة".

- يوسف محرم، تقرير خاص ليوسف محرم موجود في أرشيف د. كاظم حبيب).

مصادر أجنبية

Heiko Diadesopulus, Zoroaster: Urvater der Religion des Umbruchs, Philognosie, Wissen gestaltet die Welt, 08.09.2017.

Henry Austin Layard, Ninevah and its Remains, John Murry, London1849.